جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاسلامية والحضارة
قسم التاريخ

الموضوع

الفكر التربوي والتعليمي في مصر خلال العصر المملوكي من خلال كتاب المدخل الشريف لابن الحاج العبدري المالكي (ت737هـ /1336م)

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط
تخصص: تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي

إعداد الطالبة:
فيروز كامل

إشراف الأستاذ:
د. فوزي رمضاني

السنة الجامعية
(1440-1441هـ / 2019-2020م)

جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاسلامية والحضارة
قسم التاريخ

الموضوع

الفكر التربوي والتعليمي في مصر خلال العصر المملوكي من خلال كتاب المدخل الشريف لابن الحاج العبدري المالكي (ت737هـ/1336م)

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط
تخصص: تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي

إعداد الطالبة:
فيروز كامل

إشراف الأستاذ:
د. فوزي رمضاني

السنة الجامعية
(1440-1441هـ / 2019-2020م)

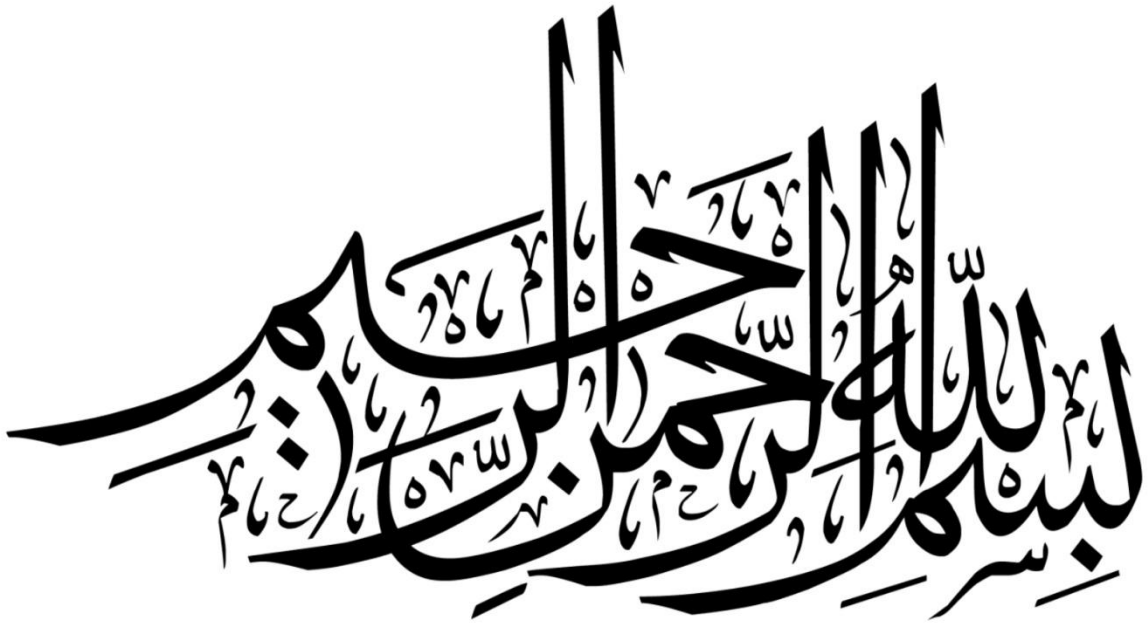
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الى ...قدوتنا ومعلمنا الاول الرسول خير البرية محمد(صلى الله عليه واله وسلم)

الى...من لا استطيع الوفاء بفضلهما...والدي. حفظه لله ووالدتي الغالية التي ربتني وعلمتني ان اخط بقلمي ...ووضعت على طريقي العلمي قدمي ...ثم دعمتني بدعواتها الصادقة.

الي... قرة عيوننا ...يوسف رحمه لله

الى استاذي الفاضل الدكتور احمد يسين يسين مبروك بجامعة الفيوم .

الى خالي الغالي جمال قرزو اطال لله في عمره بدوام الصحة والعافية.

اهدي لكم جميعا جهدي الاول ... واسأل المولى القدير ان يجعله خالصا لوجهه الكريم.

فيروز كامل

الأغواط 27 جوان 2020.

قائمة المختصرات باللغة العربية :

ب – ت	بدون تاريخ
ب – ط	بدون طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحتان متتابعتان
ص – ص	صفحتان متباعدتين
تر	ترجمة
ع	عدد
ج	جزء
ط	طبعة
س	سنة
م	ميلادي
هـ	هجري

قائمة المختصرات باللغة الأجنبية :

Page	P
Imprimerie	Imp

مقدمة :

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله الأخيار الميامين وأصحابه ومن سار على نهجه ودعا بدعوته إلى يوم الدين... وبعد:

شهد العالم الإسلامي في النصف القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجري تطورات عديدة تمثلت في الغزو المغولي من الشرف والحملات الصليبية، من الغرب مما أثر على الاستقرار السياسي والاقتصادي دون أن يطال الجانب العلمي حيث كانت الحركة العلمية مزدهرة نظرا لاهتمام الأيوبيين والمماليك بالجانب العلمي فكثرت المدارس، وأصبحت أشبه بالجامعات وبعد سقوط الدولة الأيوبية سارت الدولة المملوكية على خطى الأيوبيين في جميع الجوانب خاصة العلمية منها ونجد أن بعض العلماء والفقهاء تأثروا بالظروف التي خلفها الغزو المغولي والصليبي على البلاد الإسلامية، ومن بين هؤلاء الفقهاء نجد ابن الحاج العبدري ت737ه/1336م الذي عاش وسط الظروف التي حلت بالمسلمين، فانبرى الكثير من العلماء ومنهم ابن الحاج العبدري إلى ضرورة تصحيح هذه الأوضاع، فصنف كتابه المدخل في الشرع الشريف، وهو كتاب الفقه المالكي وسعى من خلاله إلى تحقيق هدفه الذي وضع الكتاب من أجله، فكان إضافة حقيقية في الحفل التعليمي والتربوي.

ومن هذا المنطلق أردت البحث في موضوع:

عن أدأب العالم والمتعلم بالمشرف عامة وهذا ماء فعلي إلى التعمق أكثر في موضوع الفكر التربوي والتعليمي في مصر والغوص فيه.

-أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة من انها تتطرق الى قضايا الفكر والادب في مسار النظم الحضارية للامة، وتحلل الجوهر التعليمي والمعرفي والتربوي لنخبها في ارض مصر وفي مرحلة هامة من تاريخها .

-دواعي اختيار الموضوع

الفكر التربوي والتعليمي يكتسي اهمية بالغة وهو محور من المحاور التي تستوجب البحث والدراسة، بعيدا عن قلاقل السياسية وصراع الملك والرياسة، الى جانب انه يجمع بين الطبيعة المنهجية، وهي من الدراسات التي اطمع في المواصلة والبحث فيها .

- الدراسات السابقة:

و فيما يخص الدراسات السابقة المتخصصة في الفكر التربوي و التعليمي في مصر خلال العصر المملوكي ، فإني لم أعثر على أي بحث في الموضوع مباشرة ، لكني عثرت على مقالات و مصنفات تضمنت دراسات عن آداب العالم و المتعلم بالمشرق عامة ، و هذا ما دفعني الى التعمق أكثر في موضوع الفكر التربوي و التعليمي في مصر و الغوص فيه.

-إشكالية البحث

وبالنسبة لإشكالية البحث، تمثل في: ما مدى إسهام ابن الحاج في ترسيم ملامح الفكر التربوي والتعليمي في مصر خلال العصر المملوكي؟

وينبثق عنها عدة تساؤلات:

-ماهي الآداب التي ينبغي أن يكون عليها المعلم عند ابن الحاج؟

-ماهي الآداب التي ينبغي أن يكون عليها المتعلم عند ابن الحاج؟

-ما أوجه الاتفاق بين أراء ابن الحاج وأراء غيره من المفكرين المسلمين؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات هو حل الإشكالية وتحقيق الأهداف المتوخاة من البحث والتي منها:

-الكشف عن بعض الأفكار التربوية المتعلقة بآداب العالم والمتعلم، والتي يمكن أن تفيد في الواقع العملية التربوية والتعليمية والفروق الفردية، إدارة الصف....

-إبراز جوانب الفكر التربوي عند ابن الحاج العبدري لبيان إسهاماته في مجال التربية والفكر التربوي ومنها وللإجابة على الإشكالية المطروحة والإجابة على فروعها اعتمدنا على المنهج الوصفي لسرد الأحداث كمنهج أساسي للموضوع لأنه الأنسب لوصف الأحداث التاريخية إضافة إلى المنهج التحليلي النقدي لتحليل بعض المعطيات، فضلا عن اعتماد على المنهج المقارنة للمقارنة ما جاء به العبدري وغيره من علماء عصره.

- المنهج المعتمد

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي لما يلائم وطبيعة هذه الدراسات، الى جانب المنهج التحليل في العديد من القضايا والمحطات قصد تفكيك اشكاليات هذا العمل .

- خطة البحث

بالنظر إلى طبيعة الموضوع والأهداف المرجوة منه رأيت تتبع خطة عمل مكونة من فصل تمهيدي إلى جانب ثلاثة فصول رئيسية، جاء الفصل التمهيدي بعنوان لمحة عامة عن التربية والتعليم في مصر خلال العصر المملوكي(648-923ه/1250-1517م) وتطرقت فيه بإيجاز إلى التعريف بالمماليك وأصلهم وذكر ظروف قيام دولتهم باختصار مع مراعاة ذكر تقسيمهم إلى المماليك البحرية والمماليك الجراكسة، بالإضافة إلى تقديم لمحة موجزة أيضا عن أحوال التربية والتعليم في مصر خلال حقبة الدراسة، وما رافقها من تقدم وازدهار واهتمام من لدى السلاطين المماليك.

أما الفصل الأول فجاء بعنوان حياة ابن الحاج العبدري ومكانته العلمية واشتمل على ثلاث مباحث كان الأول منها في بيان حياته بدءا من الإثم والنسب والمولد والكنية واللقب، ورحيله إلى مصر حتى وفاته، أما المبحث الثاني فتناول مكانته العلمية وما يتضمنه وذكر تلاميذه وشيوخه أما المبحث الثالث سلط الأضواء على عصره من النواحي السياسية والعلمية.

الفصل الثاني في فكر ابن الحاج، وتضمن ثلاث مباحث الأول تطرقنا فيه إلى دراسة آداب العالم في نفسه وتطرقت في الفصل الثاني إلى آدابه وتلاميذه، والمبحث الثالث بنيت فيه آدابه في درسه.

اما الفصل الثالث والأخير فتعرضنا فيه إلى آداب التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم في فكر ابن الحاج فقسمه إلى ثلاث مباحث أولها آدابه في نفسه وتكمن في الإخلاص وتقوى الله والسر والعلن والوزع وآدابه مع أهله، أما المبحث الثاني تضمن آدابه في درسه منها التوكل والعمل بالعلم وترك التحاسد والمحافظة على الصحة الجسمية، والمبحث الثالث بنيت فيه آدابه مع معلمه من حيث تواضعهم وطريقة الجلوس ومحاربة الأمراض الاجتماعية، واستمرارية التعليم وعدم اكتفاء بحد من العلم وفي النهاية البحث خاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم ألحقت العمل ببعض الملاحق والفهارس رأيت ضرورتها لتعم بها الفائدة

-مصادر الدراسة

اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر المتنوعة لبيان مضامين مادتها، إذ كان لها الأثر الكبير في إغنائها بالمادة العلمية منها كتب الحديث والكتب الفقهية، والتاريخية والجغرافية وكتب التراجم، وكتب المعاجم واللغة، وكتب المراجع الحديثة وأسهم كل منها في الأفادة بجانب أو أكثر، ولا تتسع هذه المقدمة لاستيعاب جميع مصادر البحث والتعبير عن فائدتها لذا سيكون الأنسب هنا اختيار نماذج منها بحسب أهميتها لدراسة ويأتي في مقدمتها كتاب المدخل إلى الشرع الشريف، لابن الحاج ت737ه-1336م الذي تدور الدراسة والبحث حوله، حيث يعد من الكتب الفقهية المهمة التي يقتصر به مؤلفه على القضايا الفقهية فحسب وإنمائها ورد فيه من معلومات وقيمة وثمينة في الجوانب التعليمية وكذلك احتوائه على

الكثير من النصوص والإشارات التي يمكن الاستفادة منها في تتبع آداب العالم والمتعلم.

وقد قسمت المصادر إلى مجموعات كما يأتي:

أولا:كتب التاريخ العام:

هي كثيرة ومتنوعة ظهر الاهتمام بشكل كبير في العصر المملوكي وتنازلت تاريخ الإسلام وما قبله إلى عصر المؤلفين والسبب وراء ذلك يعود إلى تشجيع السلطنة المملوكية لمثل هذا التوجه في التأليف التاريخي لذا كان ذلك العصر حافلا بالمؤلفات التاريخية العديدة ومن أهم المصادر التي أفادت الدراسة غير فائدة هو كتاب (البداية والنهاية في التاريخ لابن الكثير الدمشقي ت774ه-/1372م)، وقد استمد ابن كثير معلوماته وأخباره ودعاياته عن بعض سبقه من المؤرخين، كما ضم في أثنائه العديد من التراجم، وأخذ هذا الكتاب الدراسة بمعلومات قيمة بالفصل الأول منها فيما يتعلق بالمبحث الثالث عن الحياة السياسية والعلمية وكتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ت(732ه/1332م) هذا الكتاب موسوعي يشتمل على خمسة فصول من فنون الكتابة وآخرها في التاريخ وقد اختصت الأجزاء الأخيرة من الكتاب بالتاريخ لدولة المماليك حتى سنة(730ه/1330م) وتمثل أهمية الكتاب أن مؤلفه من المؤرخين القلائل الذين عاصروا بداية عصر المماليك لذلك كما أن مؤلفه اهتم بتسجيل نصوص الوثائق المتعلقة بالأحداث التي أرخ لها، فقد أفاد هذا الكتاب في الكثير من المعلومات حول الدولة المملوكية التي أفادت كثيرا في بحثنا هذا، وكتاب لصبح الأعشى في صناعة الأنشا)لأبي العباسي القلقشندى(ت821ه/1418م) وأورد فيه العديد من المعلومات المهمة السياسية والاقتصادية، زيادة على توثيق الحوادث التي حفل بها عصره فهو شاهد عيان لما

عاصره من حوادث في الدولة المملوكية، فهو من المصادر المهمة لدراسة تاريخ عصر في العصر المملوكي، أما كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار ويعرف بالخطط للمقريزي(ت845ه/1441م) عد واحدا من أهم مصادر دراستنا نظرا لغنى المعلومات والأخبار الواردة وكثرتها إذ بعد هذا الكتاب موسوعة مهمة لتاريخ مصر وهذه المعلومات لأنها بمثل تقصير المقريزي في المصادر الأخرى، إذ أمد الدراسة بمعلومات قيمة فيما يخص الحياة العلمية فضلا عما فحصه، وكتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للحافظ جلال الدين السيوطي (ت911ه/1505م) فهو كتاب في غاية الأهمية أورد فيه صاحبه تاريخ مصر وعجائبها ويتبرج فيه حسب السنوات فهو يمثل موسوعة شاملة لأخبار مصر فضلا في الاهتمام الذي يوليه لتراجع الفقهاء والعلماء آنذاك.

ثانيا:كتب الحديث:

وتعد كتب الحديث من المصادر المهمة في موضوعنا لبيان نظرة الشريعة الإسلامية من خلال الاستدلال بها على ما يتعلق بالحياة الاقتصادية، والحث على المعاملة الصحيحة المشروعة وممارستها بالشكل الذي يتفق مع مبادئ الشريعة الإسلامية منها كتاب(سنن ابن ماجه)لابن عبد الله محمد بن يزيدين ماجة(ت275ه/888م) وكتاب (سنن الترمذي) لمحمد بن عيسى الترمذي، وغيرهما من كتب الحديث الآخرين.

ثالثا:كتب التراجم:

وهي مؤلفات تميزت بالكثرة والتنوع في معلوماتها فضلا عما احتوت عليه من تراجع الشخصيات الواردة فيها، وقد تنوعت وتعددت لأهميتها في الدراسة، ومنها كتاب(الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب)لابن فرعون المالكي

(ت799ه/1297م)، والذي يترجم فيه لمشاهير الرواة والمؤلفين وحفاظ الحديث من مذهب الإمام مالك حتى نهاية القرن الثامن الهجري–الرابع عشر ميلادي، وقد أفادت من تراجم وتعريفات تناولت الكثير من المراكز العلمية ومؤسسيها وخاصة بالفصل الأول منها، كما أفادت الدراسة أيضا كتاب آخر وهو كتاب (السلوك لمعرفة دولة الملوك والذي امتاز بإبرازه الأخبار والحوادث المفصلة وامتازت مؤلفات المقريزي بالواقعية والموضوعية فضلا عن تدوينه لما شاهده بنفسه إذ أفاد الدراسة في معظم مباحثها وخاصة مباحث فصل التمهيدي وكتاب(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري البردي (ت874ه/1470م)، وهو كتاب حافل بالأحداث التاريخية لمصر منذ الفتح العربي لها سنة (20ه/641م) حتى سنة(872ه/1467م) وقد توسع فيه المؤلف خاصة في التراجم الأشهر رجالات الدولة المملوكية، واستفادت الدراسة منذ فائدة كبيرة شملت هذه الفائدة معظم مباحث الدراسة وزادت أهميته في المباحث الخاصة بعصر ابن الحاج في الفصل الأول منها فيما يتعلق بالحياة السياسية وايرادة للكثير في التراجع في دولتي المماليك البحرية والبحرية ومن كتب التاريخ العام التي أفادت الدراسة بشكل أو أخرى.

الدراسة خاصة بالفصل الأول منها بعديد من المواضيع المتعلقة بحياة ابن الحاج، من ولادته إلى وفاته، أما كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني(ت852ه/1448م) هذا من الكتب الهامة في فن التراجم، رتبه على حروف المعجم، فهو معجم كبير لتراجم أعيان القرن الثامن الهجري والرابع عشر الميلادي من السلاطين والأمراء والعلماء والأدباء والكتاب والوزراء من أهل مصر وخارجها كما ضم معلومات عن وظائفهم وأعمالهم والأحداث التي مروا بها، أمد هذا الكتاب الدراسة بمعلومات قيمة شملت كافة

المواضيع المتعلقة بحياة ابن الحاج فصلا عن تراجع الكثير من الأعلام الذين تمت الترجمة لهم من الشخصيات والتلاميذ الذين تم ذكرهم في الفصل الأول وكذلك كتاب(شندرات الذهب في أخبار من ذهب) لابن عماد الحنبلي(ت1089/1679م) والذي يورد فيه عدد كبير من التراجم الخاصة بعلماء مصر وفقهائها وله أهمية في هذه الدراسة وعلى وجه الخصوص في الفصل الأول منها.

رابعا:كتب التراجم:

ولها أهمية في موضوعنا، كون الدراسة تحتاج إلى توضيح المصطلحات اللغوية، كما أفادت الدراسة في البحث عن أصل العديد من الكلمات ومعرفة معانيها، واشتقاقها وتعريف بالكثير من المصطلحات التعليمية وتصحيحها، ومن هذه الكتب التي تم الاعتماد عليها بصورة أساسية شملت مباحث الدراسة منها كتاب(مختار الحاج) الرازي(ت666ه/1267م) و(لسان العرب)لابن منظور(ت711ه/1311م)، و(تاج العروس من جواهر القاموس) للزبيمي (ت1905ه/1790م) وغيرها من المعاجم القيمة التي أفادت الدراسة.

خامسا:كتب الآداب والتربية:

تعد كتب الآداب والتربية من المصادر المهمة في موضوعنا لكثرة اعتمادنا عليها في الفصلين الثاني والثالث لأنهما بطبيعة الحال يتكلمان نص آداب العالم والمتعلم، وهي كثيرة ومتنوعة منها كتاب(الفكر التربوي عند ابن جماعة) لعبد الأمير، ز.شمس الدين، الذي تناول فيه الآداب التي ينبغي على طالب العلم ومعلمه إتباعها في بحثه وقراءة وعلاقاته بأساتذته وأقرانه من الطلاب، وفيما تتعلق بالمادة العلمية التي أمدنا بها فقد اعتمدت عليه في الفصل الثاني والثالث من هذا البحث، حيث يتناول المدرسين والطلاب والآداب التي ينبغي مراعاتها ومنها كتاب (الآداب

الشرعية والمنح المرعبة) لابن مصلح أبو عبد الله محمد شمس الدين المقدسي الحنبلي (ت763ه/1361م) فهو كتاب ذو قيمة علمية كبيرة لاشتماله على كثير من أصول الأخلاق المستقاة من الكتاب والسنة وقد تضمن الآداب التربوية العديدة للمعلم والمتعلم في جوانب التربوية والتي أفادت كثيرا خاصة في الفصل الثالث.

سادسا:كتب الرحلات:

(كتب الرحلات أهمية ذات فائدة كبيرة في أي دراسة كون أخبارها وروايتها صادرة من شاهد عيان يكتب ويصف ما يراه، يستطيع الباحث من خلالها التعرف والإطلاع على الكثير من أحوال البلاد التي يزورها الرحالة، ومن أهمها رحلة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن بطوطة اللواتي الطنجي (ت779ه/1377م) المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار) المعروفة برحلة ابن بطوطة إذ فيها من الأخبار والحوادث المهمة التي لم تقتصر على ذكر مواقع المدن والقرى فحسب بل ضمنت العديد من المعلومات عن الحياة الاجتماعية.

سابعا: كتب الجغرافية

هي مؤلفات حوت معلومات ذات أهمية كبيرة بحيث لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنها، فهي بالإضافة إلى ذكرها مواقع المدن والقرى، ضمت العديد من المعلومات التاريخية والاقتصادية التي أفادت الدراسة ومن هذه الكتب كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت626ه/1228م).

المراجع الحديثة: وهي عديدة كان لها الأثر البالغ في إغناء الدراسة والإفادة منها في أمور كثيرة من خلال استعراض الأوضاع المجتمعات السياسية والاجتماعية والعلمية، كما كان لها الفائدة في بيان بعض الآراء والاستنتاجات

المهمة الذي ذكرتها والتحليلات الكثيرة من الحوادث التاريخية التي تخصص في التاريخ المملوكي على وجه الخصوص، ومن هذه الكتب كتاب(قيام دولة المماليك) لأحمد مختار العبادي وكتاب(العصر المالكي في مصر وبلاد الشام) وكتاب(المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك) لسعيد عبد الفتاح عاشور، وكتاب(نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر) لعبد المنعم ماجد وكتاب(تاريخ دولة المماليك في مصر) لوليام موير وغيرها من الكتب.

-صعوبات البحث

-نذكر منها صعوبة ضبط خطة دقيقة ومناسبة الا بعد عدة محاولات .

-صعوبة الوصول الى امهات المصادر والمخطوطات التي تساعد في تحليل هذه الدراسة

-صعوبة التحرك للوصول الى الوثائق الاصلية بفعل الظروف العامة التي تعرفها الجزائر والعالم ككل .

وأخيرا فما كان لهذه الدراسة أن تكون لولا فضل الله علي أولا ومن ثم رعاية أستاذي المشرف فوزي رمضاني الذي لم يبخل بوقته وجهده في توجيهي لإكمال هذا البحث، فكان لإرشاده ونصائحه العلمية كبير الأثر إخراجه على النحو الذي يبدو فيه، فله من جزيل الشكر وخالص الامتنان، كما أسجل شكري إلى قسم كلية التاريخ دكتور معمر جعيرن لما أسده من عطاء متجدد، وما يبذله معي من جهد، وما قدمه لي من نصائح بناءة، وتوجيهات هادفة كما أوجه شكري إلى الدكتورة عائشة خامد على ما أولتني من رعاية واهتمام توجيه وإرشاد وإسهامها في بلورة الخطة الأولى من هذا البحث فجزاها الله خيرا.

وأتمنى أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في بيان جانب من جوانب تاريخ أمتنا الإسلامية، وأعترف بأن هذا العمل هو أول خطواتي في طريق البحث العلمي الطويل فما زالت في بداية الطريق، ولذا فإن ما قمت به من جهد يحتاج إلى إكمال وتأييد، وما توصلت إليه من نتائج يحتاج إلى تقويم وتسديد، فإن كنت أصبت ووصلت إلى غاية فذلك من فضل من الله ونعمة وإن كنت قصرت أو أخللت فذلك مني ومن الشيطان...فأسأل الله المغفرة والعفو...والحمد الله رب العالمين .

الفصل التمهيدي

لمحة عامة عن التربية و التعليم في مصر خلال العصر المل

(م0203 – م0221/ هـ329 - هـ846)

المبحث الأول : التعريف بالمماليك و أصلهم

المبحث الثاني :أحوال التربية و التعليم في مصر خلال العصر المولكي

شهدت البلاد الإسلامية في عصرها الوسيط العديد من الأحداث والتي يمكن وضعها بالمفصلة في تاريخ المنطقة، ومن بينها ما كان له الأثر الراجع في تغيير الخارطة السياسية في المنطقة، كالحملات الصليبية المتعاقبة على المشرق الإسلامي ومصر، أيضا الزحف المغولي وإسقاطه للدول وبلدان المشرق الإسلامي كالدولة العباسية وما ترتب عليه من نتائج أثرت على جوانب الحياة كل ذلك أخر في تشكل خارطة سياسية جديدة بالمنطقة فانهيار الدول برز على إسقاط دول أخرى كدولة المماليك.

التعريف بدول المماليك:

حكمت المماليك [1] مصر[2] و الشام من 648هـ إلى 923 هـ / 1250 – 1517م و الذي ميز تاريخ هذه الدولة عن غيرها من دول العالم الإسلامي هو أن

---

[1]– المماليك : كلمة المماليك، جمع مملوك ، و المملوك: هو العبد و هو الرقيق الذي يباع ويشتري ويطلق إسم المماليك إصطلاحا على أولائك الرقيق الذي يجلبون من أقطار مختلفة، و قد كسب المماليك هذه التسمية أو صفة العبودية عن طريق الشراء أو الأسر و هم خليط من الأتراك و الروم الأوروبيين و الشراكسة ، جلبهم الحكام من أواسط أسيا و القفقاس ، ليستعينوا بهم في الحكم ، الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ت 666هـ، مختار الصحاح، تح، يوسف الشيخ محمد، ط05، الدار النموذجية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1999م، ص298، إبن منظور محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ت 711هـ/1311م لسان العرب ،دار الصادر،بيروت،ط03 ،1414هـ ج03، ص270، ج10، 124، ماجد عبد المنعم، نظم الدولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ط02، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، 1979م، ج01، ص10، الذهبي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ت 748هـ/1347م، سير أعلام النبلاء، تح مجموعة من المحقيقين، ط03، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ج 23، ص192.

[2]– سميت مصر نسبة إلى مصرابيم بن حام بن نوح ، و حدد الجغرافيون طولها من رفع و العريش إلى أسران و عرضها من برقة إلى أيلة في مسيرة 40 ليلة في مثلها. أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة ، المسالك و الممالك ، طبعة ليدن، 1889، ص 82–84 المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي الحسيني ت 845هـ/ 1441م ،المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الأثار المعروف بخطط المقرير، ط02، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م، ج01، ص 14 – 18 ياقوت الحموي، شهاب الين أبو عبد الله الرومي ت 626 هـ/1228م، معجم البلدان ، دار صادرة ، بيروت ، 1986م، ج 05، ص 137.

حكامها و جيشها كانوا عبارة عن رقيق أو مماليك، و كانوا طبقة غريبة عن المجتمع المصري، و إتسم تاريخهم بغلبة الطابع العسكري و الاغتيالات و الحروب، و إدخال نظم و اصطلاحات جديدة في الحكم لم تكن معروفة من قبل في مصر.

أصل المماليك:

يرجع ظهورهم في المنطقة الإسلامية إلى ما قبل قيام دولتهم بأمر كبير، إذ يرجع إلى عهد الدلة العباسية، فأول من شكل فرقة عسكرية من قبل مماليك الأتراك خاصة هو لخليفة العباسي المأمون[1](198هـ-218هـ/813م-833م)، و من هذه المعتصم بالله (227-218هـ/833-843م)[2] الذي أكثر منهم حتى أصبحوا يمثلون دعامة منن دعائم الخلافة [3]، و خصص لهم الأرزاق من بيت

---

[1]- النويري، شهاب الدين، عبد االوهاب بن محمد بن عبد الدائم القريشي النميمي البكري ت 733 هـ/1332م، نهاية الإرب في فنون الأدب ، ط 01، دار الكتب و الوثائق القومية ، القاهرة ، 2003م، ج22، ص239

[2]- هو أبو أحمد ، عبد الله المستعصم بالله،أخر خلفاء بني عباس ببغداد بويع بالخلافة سنة 640هـ/1242م بعد وفاة أبيه، قتله هولاكو بعد إستلائه على بغداد وتخريبها سنة 656هـ/ 1258م، إبن كثير (أبو الفداء بن عمر بن كثير الدمشقي ت774هـ/1372م ،البداية و النهاية، تح، علي شيري، ط 01، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1988م، ج10، ص296، إبن تغري بردي أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي ت 874هـ /1470م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دار الكتب ، مصر، د – ت، ج 02، ص234، السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر أبو الفضل ت 911هـ/1505م ، تاريخ الخلفاء ،، تح: حمدي الدمرداش، ط01، مكتبة نزارمصطفى الباز، 2004م، ص 244.

[3]- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق ت 292هـ /905م، البلدان ط01، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002، ص 55، إبن الجوزي، عبد االرحمان بن علي ت 597، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، تح : محمد عبد القادر و مصطفى عبد القادر ، ط01، دارالكتب العلمية 1992م،ج08،ص258،طقوش محمد سهيل ،تاريخ المماليك في مصر والشام ،ط01،دار النفائس ، بيروت ، 1997، ص 16

الممال، و قد إستبد هؤلا بالحكم وتسير شؤون لدولة وحجروا على الخليفة العباسي[1] و إختلفت الروايات في مقدار عددهم ، فقيل إن عدتهم بلغت أربعة الف[2]

وقال البعض ثمانية ألف[3] وقيل إنهم كانوا ثمانية عشر ألف[4]، وقيل ثلاثون ألف[5] كما إعتمد السلاجقة[6] على الرقيق في جيشهم ، و هم أول من أسس لقواعد تربية المماليك و حددوا علقتهم بالحكام[7].

[1]- العيقوبي، أحمد بن واضح، البلدان تح، محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص55 محمد بن علي بن طباطبا ، الفخري في الأداب السلطانية و الدول الإسلامية ، تح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي ،حلب ،1997م، ص228.

[2]- المسعودي، علي بن الحسين ت 346هـــ/957م ، مرووج الذهب و معادن الجوهر ، تح: قاسم الرفاعي ، ط01، دار القلم ، بيوت، 1989م، ج04، ص53.

[3]- إبن تغري بردي ، النجوم الزهراء، ج02، ص 285.

[4]- إبن دقمان، إبراهيم بن محمد ت 809هـ /1406م، الجوهر الثمين في سير الخلفاء و الملوك و السلاطين ، تح : سعيد عاشور ، مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى، السعودية ، د- ت، ص 113.

[5]- المسعودي ، المصدر السابق، ج 04، ص 53-54

[6]- السلاجقة: سلالة من الترك حكموا المنطقة الممتدة من بلاد الروم و الأناضول و الشام وبلاد فارس و ماوراء النهرين من 432 – 589هـ النووي نهاية الأرب ، ج 26 ، ص 267، المقريري السلوك لمعرفة دول والملوك ، تح: محمد مصطفى زيادة ، لجنة التالي و الترجمة و النشر القاهرة ، 1956م، ج01، ص 31-41.

[7]- مني محمد بدر محمد بهجة ، أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية و المملوكية بمصر ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، 2002م، 01، ، ص 17-26.

أما في مصر فكان الطولونيون [1] و الأخشيديون [2] أول من إستخدم المماليك ونهج نهجهم الفاطميون[3] ولما تمكن صلاح الدين يوسف بن أيوب[4] من إسقاط لدولة الفاطمية وتأسيس الدولة الأيوبية إعتمد العناصر المملوكية متبعا في ذلك التقاليد السلجوقية[5] و يعود أصل المماليك التي تنس إليهم الولة المملوكية إلى أجناس مختلفة أهمها الترك[6] و كانت مواطنهم في المنطقة الممتدة من شمال

---

[1]– الطولونيون : نسبة إلى أحمد بن طولون، حكموا مصر من 254 على 292هـ/868 – 905 م ، محمد بن يوسف الكندي ، ولاة مصر ، دار صادر بيروت ، د– ت، ص 239– 240، لنويري، نهاية الأرب، ، ج28، ص 11–34

[2]– الإخشيديون : ينتسبون إلى محمد بن ظغج الإخشدي الذي أسس دولته بمصر و دامت من 323–358 هـ / 935–969م الكندية المصدر السابق ، ص 301–310، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ت746 هـ/1362م تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من خلفاء و الملوك و النواب ، تح : إحسان بنت سعيد الخلوصي ، زهير حميدان ، ط 02 ، دار صادر ، بيروت 1999م، ص 277.

[3]– الفاطميون : إحدى طوائف الشيعة العلوية الإسماعلية ، أسسوا دولتهم بالمغرب ثم إنطلقوا إلى مصر و أسسوا مدينة القاهرة. المقريزي، كتاب المقفي الكبير ، تح : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلام ، بيروت ، 1987م، ص 382، 408، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية ، ط02، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة، 1958م، ص 82 ، النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 37.

[4]– هو صلاح الدين يوسف بن أيوب الكردي (ت 589هـ/1192م)، تولى وزارة العاضد الفاطمي ، و تلقب بالملك الناصر ثم أبطل رسوم الدولة الفاطمية و حاربة الشيعة من مصر ، وأ سس الدولة الأيوبية567 هـ /1171م إلى غاية 648 هـ /1250م أبو شامة شهاب الين المقدسي ت665 هـ /1267م، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، تح: محمد أحمد و محمد مصطفى زيادة ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة، 1962م، ج 01 ، ص680، المقريزي، السلوك، ج 01، ص 41–114.

[5]– مني بهجت ، المرجع السابق، ج 01، ص 95.

[6]– الترك من ولد ترك بن كومربن يافت حسب حسب النساية، و كانوا عدة شعوب أهمها: القفجاق و هم الخفشاخ و التتر أو الططر و الخزلخية و الخور و هم الغز الذين كان منهم ملوك السلجق ، و العلان و الشركس أوالجركس و الروس و غيرهم . القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي الفزاري، ت 821هـ/1417م، نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتب المصري – دار الكتب اللبناني ، القاهرة – بيروت، 1990م ، ص25 –26 ، القزويدي ، زكرية بن محمد ، أثار البلاد و أخبار العباد ، دار الصادر، بيروت، د–ت، ص580–588، النويري، نهاية الأرب، ج 26، ص386–387.

الصين و الهند و بلاد القوقاز مرورا بالتركستان[1] ومنطقة بحر القزوين ن وكان المسلمون منذ فتحهم لهذه الماطق في عهد الأمويين يسون منهم و يتخذونهم للمهن و الخدمة[2].

ولما قامت دولة المغول وتوسمت على حساب الأراضي السابقة الذكر ، كثر السبي بين شعوب وقبائل الترك ، خاصة القفجاق[3] و الروس[4] و الجركس[5] ، و إمتلأت أيدي تلك النواحي برقيقهم ، و إشتراهم التجار و باعوهم للملوك الأيوبيين بمصر، و الذين أخذووا ييستكثرون منهم لتقوية و أصبحت تجارة المماليك تجارة رسمية، و سار السلاطين بني أيوب يكلفون بعض التجار بجلب عصبيتهم طالما كانوا غرباء على أرض مصر[6] و الجدير بالذكر أنه كان يتم شراء المماليك من البلاد الأوروبية المسيحية و يطلق عليهم الرقيق الأبيض من سلوفانيا و ألبانيا و الماغول وبلاد الجراكسة و إيطاليا و ألمانيا[7] ، أما الرقيق

---

[1]– التركستان : إسم جامع لجميع بلاد الترك ، حدها من الصين على بحر قزوين، و كانت أرضها مليئة بقبائل الترك الذين كانوا يعيشون على النهب و الصيد و الغارات. القزويني، المصدر السابق، ص 514

[2]–. غبن خلدون أبوزيد عبد الرحمان بن محمد ، الحضرمي، الإشبيلي ت 808هـ/1405م، العبر و الديوان المبتدأ و خبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر الشهير بتاريخ إبن خلدون، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981م، ج05، ص 798–799.

[3]– القفجاق أو القبجاق فرع من التراك كانت مساكنهم جنوب روسيا ، و القفجق كلمة جركسية معناها النازح من سفح الجبل . المقريزي ، السلوك ، ج 01، ص 633.

[4]– الروس قوم من الصقالبة كانوا يعيشون شمال بحر قروين و غربة . إبن خرداذبة، المصدر السابق ، ص154 ، القزويني، المصدر السابق، ص 586، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج03، ص 79، أحمد الشتاوي، دائرة المعارف الإسلامية ، مج 10، مصر، د–ت، ص 223.

[5]– الجركس جنس من الترك تنسب إليهم دولة مماليك الجراكسة.

[6]– صارم الدين بن دقماق ، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام ، تح : سميرة طبارة، المكتبة العصرية ، بيروت، 1990م، ص210، إبن خلدون، العبر، ج05، ص 803.

[7]– *Larrivaz. Le sai ntspe regrinatious de, p55 , chi stele ,(j.v) voyage en Egypte (1842-1483) , tnansby , Bauwens preaux , Bruxelles, 1975, p36, woff.Howmany miles Baby lan , p17.*

الأسود في الحبشة هما " وشلو و هدية"[1] ، و أصبحت تجارة الرقيق رسمية ، وصار سلاطين بني أيوب يكلفون بعض التجار بجلب أنواع معينة من الرقيق ليختصوا بها ، و إزدهرت هذه التجارة و إشترك فيها التجار الأوروبيون لما كانت تدره من أرباح و أنشأ البنادقة و الجنويون محطات لتجارة المماليك على شواطئ البحر الأسود ، و إمتد نشاطهم إلى أوروبا كانوا يبيعون اليونانيين و السلاف و الصرب و الألبان و الأرمن و الجورجين و ذلك رغم صدور قرار تحريم هذه التجارة من طرف البابا[2].وكان المماليك يصلون إلى الموانئ المصرية خاصة دمياط[3] و الإسكندرية[4] ،و منها كانوا ينقلون إلى القاهرة أين خصصت أمكن لبيعهم حسب أثمانهم[5]، وبعدما يقتنيهم السلاطين و الأمراء كانوا يحقون يمكن يسمى الطباق، و هو عبارة عن مدرسة عسكرية و فيها يتعلمون الخط القرأن ، ويحربون على فنون الحرب و الفروسية ركوب الخيل و القتال بالسيف و الرمح ، و كان يشرف عليهم أساتذة متخصصون يتبعون في تعليم نظاما دقيقا جدا ، ويعدها يعتق المملوك و يسلم له السلاح و فرس ولباس خاص ، و إقطاع يبقي

---

[1]– العمري شهاب الدين إبن فضل الله العمري ت 742هـ/1341م، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ، 1312هـ، ص30، القلقشندي، صبح الأعشي، في صناعة الإنشا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1985م، ج 05ن ص 327–328، إبن إياس أبو البركات محمد بن أحمد ت 930هـ/1523م، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصريةالعامة للكتاب ، القاهرة، 1404هـ/1984م، ج03، ص 347.

[2]– عبد المنعم ماجد ، المرجع السابق، ص 12، أنطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية ، ط02، دار الحداثة، بيروت، 1982م، ص25–26.

[3]– دمياط : من أشهر لموانئ المصرية على البحر الرومي و على جنب النيل ، و كانت مخرج التجارة و المصرية إلى أوروبا و كان يقصدها التجار البنادقة بالخصوص ، و إشتهرت بصناعة السكر، مقريزي، الخطط، ج01، ص 213–225، القزويني، المصدر السابق، ص193.

[4]– الإسكندرية: ثغر مصر على البحر الرومي، و إحدى أكبر المراكز التجرية و الثقافية في مصر المملوكية . المقريزي، الخطط، ج01، ص87–175، ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج03، ص193.

[5]– أنطوان خليل، المرجع السابق، ص 26

ملك له، ثم يترقي المماليك في الرتب حتى يصلون مرتبة الإمارة التي كانت تهيؤهم للوظائف في البلاط و الجيش و حتى السلطة[1]

عوامل قيام دولة المماليك:

لقد تهيأت عوامل داخلية و أخرى خارجية أسهمت إسهاما كبيرا في تأسيس دولة المماليك و الدولة المملوكية أنبثقت منالدولة الأيوبية و قامت على أنقاضها بعدما دب الضعف في أوصالها، و نهيأ أشخاص كانوا سببا مباشرا في ذلك كالصالح نجم الدين أيوب الذي أسس فرقة الممالية البحرية ، و إبنه تور انشاه ، وزوجته شجرة لدر، ثم زاد خطر الصلبيين على البلاد و إقتربت المغول منها ، فواجه المماليك هذين الخطرين بشجاعة نادرةن فما كان من الجميع إلا أن وقفوا إلى جانبهم ، و في ما يلي بيان العوامل الداخلية و الخارجية الي أسهمة في تأسيس دولة المماليك.

أ- **العوامل الداخلية:**

1. **ضعف الدولة الأيوبية:** حيث ترك صلاح الدين الأيوبي بعد وفاته سنة 589هـــ 1192م دولة واسعة الأرجاء ، وسبعة عشر ولدا ، وكان قد وزع خلال حياته السياسية البلاد الواقعية تحت سيطرته على أفراد عائلة ، فتقاسم هؤلاء التركة إذ أن كل منهم كان يطمح أن يضاهي نصيبه نصيب جاره أو يفوقه[2] ، وجري التتاجر بين أفراد البيت الأيوبي ، مما دفع

---

[1]- المقريزي، السلوك، ج02، ص 524-525، إبن خلدون ، العبر، ج05، ص 803، السيد الباز العريني، المماليك، دار النهضة العربية، بيروت ، 1967م، ص84-264.

[2]- إبن خلدون ، العير، ج05، ص433، إبن كثير ، المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - لبنان، د-ت، ج 05، ص 114 و ما بعدها ، محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر و االشام و إقليم الجزيرة، ط01 دار النفائس، بيروت - لبنان، 1999 ، ص229.

بهم إلى جلب المزيد من المماليك لتقوية جانبهم ضد خصومهم، وعملوا على تنشئتهم و تحريرهم[1]

و قد إستطاع محمد بن أيوب الملقب بالملك العادل [2] أخو صلاح الدين الأيوبي توحيد لدولة الأيوبية فترة حكمه تحت سلطانية ، و أصبح جميع الأفراد الأيوبيين خاضعين له، ثم بدأ بتنظيم الدولة ، ووزع أولاده على الولايات فإرتكب بهذا التوزيع الخطأ نفسه الذي إرتكبه صلاح الدين عندما وزع إرثه على أولاه و إخواته ، مما أأدى إلى إضعاف الأيوبيين ، فهذا التوزيع سبب التنافر و التحاسد بين الإخوة وأعاد المأساة التي حدثت بعد وفاة صلاح الدين من جديد [3] ، و في كل هذه المنافسات و المنازعات كان الأيوبين صاحبها لذي إشتراها و تولاها بـــــ التربية و التدريب ، فالأسدية سميت بذلك نسبة إلى أسد الدين شركون عمر صلاح الدين ، و العادلية نسبة إلى الملك العادل أخي صلاح الدين ، و الكاملية نسبة إلى الكامل بن العادل، والصالحية نسبة إلى الصالح أيوب بن الكامل[4] و تدل الأحداث على أنه كان لهؤلاء دور كبير في تطور الأحوال السياسية ، و أثر فعال في الحروب ، و كانوا يتدخلون تدخلا مؤكدا في شؤون الدولة

---

[1]–محمد بن علي بن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري تخليص الكشف وبيان في حوادث الزمان ، تح: أبو عبد دودو، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1999، ص 28.

[2]– الملك العادل سيف الدين بن أبي بكربن أيوب ولد سنة 540 هـ/1143م و توفي سنة615هـ/1218م . إبن كثير، البداية و النهاية، ج 13، ص78–79، النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 09.

[3]– إبن الأثير علي بن محمد ت 630هـ /1233م، الكامل في التاريخ، تح: عمر تدمري، ط 01، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، 1994م، ج 10، ص 390 و ما بعدها.

[4]– سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة – مصر، 1959م، ص13

الأيوبية ، بل أسهموا في الكثير من الأحيان في عن السلاطين وتوليتهم ، و هذا كان له أثر واضح في إنتقال السلطة إلى المماليك.[1]

2- نشأة المماليك: وصل الصالح نجم الدين الأيوبي إلى حكم الديار المصرية عام 637هـ -1237م ، و كان مغرماً بشراء المماليك الأتراك ، و يبدوا أن بين ذلك يمكن في إعتماده عليهم في حمايته من مؤامرات البيت الأيوبي وبالغ في ذلك حتى أصبح عامة جيشه و خاصة من المماليك فإستكثر منهم حتى دفع تلك عددا كبيرا من المؤرخين إلى القول إنه هو الذي أنشأ المماليك الأتراك و أمرهم بديار المصرية[2] .

[1]- إبن كثير، لمختصر في البشر، ج 06، ص ص 66-69

[2]- إبن تغري بردي، النجوم الزهراء، ج06، ص 282.

فما كان من هؤلاء إلا أن عاشوا فساد في البلاد حتى ضاقت بهم القاهرة أو صاروا يشوشون على الناس ، و ينهون البضائع من الدكاكين ، فضج الناس منهم ، فلما زاد أمرهم في أذي الناس شرع الملك الصالح في بناء قلعة بجزيرة الروضة[1] و أسكنهم بها وسماهم بالمماليك البحرية، و كاذ من كبرائهم: عز الدين أيبك الجاشنكيز التركماني[2] و فارس الدين أقطاي الحمدار[3] ، وركن الدين بيبرس البندقداري[4].

3- عقلية توران شاه: وصلت في عام 647هـ/1247م إلى دمياط الحملة الصليبية السابعة، و رغم مرضه ثم ما لبث إلا أن توفي بقليل بعد ذلك في شعبان 647ه/22 نوفمبر 1249م، و أوصى بأن يكون السلطان من بعده تورانشاة[5] الذي كان غائبا في ذلك الوقت[6]

---

[1]- هي محلة من محل الفيسطاط يحيط بها النيل اذا فاض فتنقطع عن الفيسطاط و هي من منتزهات مصر، البغداد صفي الدين بن عبد الحق ت 734 هـ/1338م، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع، تح: محمد علي البجاوي، ط 01، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م، مج 01، ص333، سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر الممالكي في مصر و الشام ، ط02، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1976م، ص05، عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص 82.

[2]- المعز عز الدين أيبك التركماني الصالحي، كان من مماليك الصالح نجم الدين أيوب ، و ترقي في الوظائف حتى صار جاشنكيرا أي المتصدي لذوق المأكول و المشروب السلطاني خوفا من السم، إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 07، ص 07، ص 04، النويري، نهاية الأرب، ج29، ص419.

[3]- فارس الدين أقطاي: كان من فرسان مماليك الصالح أيوب ، أقطع الإسكندرية ومات مقتولا سنة 652هـ/1252م، كان جمادار أي يتولى إلباس السلطان ثيابه . النويري، نهاية الأرب، ج29، ص429، القلقشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص20، إبن خلدون ، العبر ، ج05، ص812 الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج17، ص451.

[4]- إبن دقمان، المصدر السابق، ص210.

[5]- هو توران شاه بن صالح نجم الدين أيوب ، صاحب دمشق ، ثامن ملوك بني أيوب، أنظر: إبن تغرب بردي ، النجوم الزاهرة ، ج1 ، ص370-371، إبن إياس، المصدر السابق، ص 70، إدوردفون زامباورد و أخرون، معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي. تر: دكتور زكي محمد حسن – د حسن أحمد محمود – د .سيدة إسماعيل كاشف القاهرة ، ص 151.

[6]- إبن الدقماق، الجوهر الثمين في سير الخلفاء و الملوك و السلاطين ، ص 245-246.

فأرست شجرة الدار[1] زوجة الصلح أيوب في طلبه ، و إنجلت العركة على هزيمة الصليبيين و وإنتصار جيش المماليك البحرية[2] ، ويبدو توران شاه لم يستفد من النصر إذا لم يكن اللشخص لمناسب للحكم كما أنه لم يكن القائد القادر على مواجهة ظروف تلك المرحلة فإرتكب أفعالا أودت بحياته في نهاية الأمر وتسبب في إنقراض الدولة اليوبية ، و بروز مماليك البحرية مفي الوقت نفسه ، فبعد الإنتصار على الصالبيين قام توران شاه بغبعاد أمراء دولة أبيه و إعتقالهم و هم أصحاب النظر الحقيقي و قرب الذين جاؤوا معه ، وولاهم المناسب و الوظائف السلطانية ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل أرسل في طلب شجر الدر بتهديدها ويطالبها بمال أبيه ثروته، فإسترقت هذه الأفعال المماللیك البحرية ، وحفزتهم لقتله وممات قتيلا غريقا ، فكان أخرر حلقة في دولة الأيوبية،وأول من ساهم بأفعاله بإنتقال الحكم إلى المماليك البحرية[3]

4- عقلانية شجر الدر: قامت شجر الدر بأعمال حكيمة تدل على ذكائها، كانت ذات آثار عميقة في قيام دولة المماليك البحرية، ففي أثناء

---

[1]- جارية تركية الجنس، وقيل أرمنية إشتراها الملك صالح نجم الدين أيوب وحظيت عنده حتى أعتها وتزوجها ، و أنجبت منه إبنا إسمه خليل مات صغيرا، و إعتبرها المقريزي أولى سلاطين المماليك في مصر و أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك توفيت سنة (655هـ/1257م) أنظر: المقريزي ، السلوك ، ج01، ص 403، إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج06، ص372، سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر و الشام ، ص11، عبد المنعم ماجد، المرجع السابق ، ص69،بدر الدين العيني ت 855هـ/1451م، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح : محمد أمين، دار الكتب، القاهرة، 1978م، ج01، ص165، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك،ط01، دار الشروق، قاهرة، 1415هـ/1994م، ص08.

[2]- إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج06، ص 322-323.

[3]- إبن دقمان ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء و الملوكو السلاطين ، ص248-250، إبن تغري البردي، النجوم الزهراء، ج06، ص 329.

وصول الحملة الصليبية السابعة إلى مصر وبعد استيلائها على دمياط، وفي أثناء كل ذلك توفي الصالح نجم الدين أيوب زوج شجر الدر، فقامت بإخفاء نبأ وفاته، ثم أرسلت في طلب تورانشاه، هذا التصرف كان سبباً في الإبقاء على معنويات الجيش، وفي استمراره في مقاومة الحملة الصليبية، و تسرب خبر موت الملك الصالح إلى لويس التاسع [1] ، فسارع بقواته إلى المنصورة[2] و عندئذ ظهر المماليك البحريرة ، فتركوا الصصلبيين يدخلوون المدينة فتاهوا في أزقتها و إنقضوا ععليهم و هزموهم[3].

وبعد مقتل تورانشاه أضحى العرش شاغراً، فوقع الاختيار على شجر الدر لتولي السلطنة[4]، فباشرت التواقيع، ونُقش اسمها على السكة، و كانن يخطب اسمها على المنابر مصر و القاهرة، ثم دخلت في مفاوضات مع الصليبيين إنتهت إلى إعادة دمياط للمسلمين، وفك الأسرى، وإطلاق سراح لويس التاسع مقابل مال مقدر.ولذلك عدّ بعض المؤرخين شجر الدر أولى

---

[1]– الملك لويس التاسع و كان يلقب بريدافرانس عند المسلمين ولد سنة 612هـ /1214م ، قام بحملة الصليبية على ديمياط و أخرى على تونس مات خلالها بالطاعون سنة 669هـ/1270م، الذهبي سير أعلام النبلاء ، ج17، ص 62..

[2]– مدينة بناها الملك الكامل سنة 616هـ / 1218م عندما ملك الفرنجة دمياط لأول مرة سنة 615هـ/1218م، وصارت مدينة كبيرة بها الحمامات و الفنادق، و الأسواق ، المقريزي، الخطط ، ج01، ص231، إبن نظيف الحموي، المصدر السابق، ص 71–72 ، ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج 05 ، 212.

[3]– إبن كثير، البداية و النهاية ، ج13، ص 180، المقريزي، السلوك ، ج، 01، ص351، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص356،عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكي، في مصر و الشام ، ص 111، عبد العزيز سالم ، سحر السيد عبد العزيز سالم ،دراسة في تاريخ الأيوبيين و المماليك ، مؤسسة الشباب الجامعية الإسكندرية 1997، ص 176.

[4]– إبن الدقماق ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ،ص248_250

سلاطين دولة المماليك البحرية، وتورانشـــــــــــاه آخر ملـــــــــــوك الأيوبيين.[1]

إلا أن الخلافة العباسية رفضت الإعتراف بسلطنة شجر الدار ووقف الخليفة العباسي المستعصم بالله 640- 656ه/1242-1258م رافضا مبدأ قيام امرأة فحكم المسلمين ، وشعر المسلمون كذلك بحرج شديد في أمرهم إمرأة[2]

فارسل الخليفة العباسي المستعصم بالله للمماليك يعيب عليهم إقامة إمرة في السلطة قائلا " إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلا"[3]: و من خلال نص المقريزي يبدو أن الخليفة لم يكن معترضا على حكم المماليك و إنما كان معترضا على تنصيب امرأة في السلطة.

فأخرجت شجر الدار الجميع من هذا المأزق عندما تزوجت المعزعز الدين أيبك ،و تنازلت له على السلطة[4] بعدما حكمت لمدة ثمانين يوما فتكون بذلك شجر الدر قد نجحت في صد الحملة الصليبية من جهة ثانية، كما حسمت النزاع القائم

---

[1]- المنصوري،بيبرس ،التحفة المملوكية في الدولة التركية،نشره عبد الحميد حميدان ،ط01،الدار المصرية اللبنانية،مصر_القاهرة،1987م،ص27;ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج07،ص03

[2]-سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، ص 20-22، إبن كثير، البداية و النهاية ، ج 13، ص164، عبد الله الشرقاوي ، تحفة الناظر ين في من ، ولي مصر من الملوك و السلاطين ، تح: رحاب عبد الحميد القاري، مكتبة مدبولي، القاهرة 1416هـ/1997م، ص 154، المقريزي ، السلوك، ج01، ص368.

[3]- د. إيناس حسن البهجي ، دولة المماليك البداية و النهاية ، ط01، دار التعليم الجامعي ، إسكندرية ، 2015م، ص16-17، سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليك في مصر و الشام، ص 14، المقريزي السلوك، ج 01، ص463-464.

[4]- إبن دقماق ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء و الملوك و السلاطين ، ص 256-257، المقريزي، الخطط، ج02، ص237

بقولي العرش من جهة ثالثة ورأت فئة أخرى أنها آخر السلاطين ، و ان المعزعز الدين أبيك أول لسلاطين المماليك[1]

ب- العوامل الخارجية: حيث تجلب العوامل الخارجية بالحملة الصليبية السابعة و غزو المغول، وبتخليص المماليك كما كان سوء أوضاع العالم الإسلامي أنذالك محضرا للكثير للتوجيه نحو هذه الدولة المستقرة ، و من عوامل الخارجية لقيام دولة المماليك ما يلي:

1- الحملة الصليبية السابعة: كانت محولات الأفرنج تتجه للسيطرة على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي [2] و في عام 647هـــ ، وصلت إلى دمياط الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا و إستطاعت الإستلاء عليها ، مما أحزن صالح أيوب كثير حتى إنه قدم على شنق ما يزيد على خمسين أمير ممن تركوا مواقعهم الدفاعية و هربوا أثناء الحملة ، و أخاف التصرف مماليكه ففكرو بقتله لولا نهاهم عن ذلك أحد الأمراء لأن الصالح أيوب كان مريضا فإنتظرواوفاتهالتي حلت عام647هـ.

2- **صد المغول:** بعد إستلاء المغول على بغداد عام 656هـــ قصد هولاكو الشام، فوصل إلى حلب ودخلها و دمرها ، ثم توجه إلى حماة و من هناك قصد دمشق ، و إستولى عليها و على سائر الشام، وبعد ذلك وجه هولاكو عام 658هـــ إنذارا إلى مظفر قطر حاليا منه الإستسلام ، فما كان من قطر إلا أن عقد إجتماعا عاجلا مع أمراء دولته إنتهي إلى قرار يرفض إنذار هولاكو ، و لم يكتفي بذلك بل أقدم على قتل رسله الذين حملو الإنذار وفي تلك الثناء غادر

---

[1]- المنصوري بيبرس، التحفة الملوكية في الدولة التركية، نشره عبد الحميد حميدان، ط01، مصر- القاهرة، 1987م، ص27، إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج07، ص03.

[2]- سيمينوفا، صلاح الدين و المماليك في مصر، تر: حسين، بيومي، المجلس الأعلى لثقافة ، قطر- الدوحة ، 1998م، ص34.

هولاكو بلاد الشام متوجها إلى عاصمته بعد أن سمع بقيام صراع على السلطة هناك من جهة ، و تخوفه على أملاكه في إيران من جهة أخرى موكلا قيادة الجيش للقائد كتبغا[1]

و في ظل هذه الأوضاع إستقر رأي المماليك في مصر على مقاومة العدو، فوضع المظفر قطر خطة عسكرية محكمة تقضي بأن يزحف الظاهر بيبرس على راس قوة إستطلاعية لدراسة الموقف على الأرض[2] ثم توجه قطر نحو فلسطين ثم نحو كين جالوت ، فوصلها في يوم جمعة 25 رمضان من عام 658هـــ، و إشتبك الجيشان المملوكي و المغولي ، و بعد قتال شديد مرير إنجلت المعركة عن نصر رائع للمسلمين ، قهر الماغول وقتل قائد جيشهم كتبغا[3] و بعد إنتصار المسلمين في عين جالوت توجه قطر مباشرة نحو دمشق و دخلها ثم سيطر على سائر بلاد الشام من القرات إلى حدود مصر ثم إستناب نوابه على كل من دمشق و حلب وحماة و المعزة و السلمية و الساحل و عزة ، موسعا بذلك الراضي و البلاد التي يسيطر عليها المماليك و محققا وحدة بلاد الشام و مصر من جديد[4].

3- **سوء الأوضاع العامة في العالم الإسلامي أنذاك:** ساءت أوضاع العالم الإسلامي في مناطق 17هـــ مشرقة و مغربة ، أما مشرقة فقد إجتاحة المدالتتري، كما شهر مغربة إنحسار حكم الموحدين وحدوث الإنقلابات و المنازعات السياسية ، كما تصدع الحكم الإسلامي في الأندلس فجعلت هذه الأحوال في مصر الملجئ الوحيد الأمن و المستقر ، و القوة التي يكمن الإحتماء

---

[1]- المقريزي ، السلوك ، ج01، ص427-429.

[2]- محمد سهيل، طقوش، تاريخ المماليك في مصر و الشام، ص 77.

[3]- إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج07، ص67.

[4]- المقريزي، السلوك، ج01، ص 433.

بها فلاذ بها العلماء و غيرهم ، و أدى ذلك إلى إنتعاش دولة المماليك من جهة و إلى شعورها بأنها أمام مسؤوليات كبيرة ، فأدى ذلك إلى قوة مركز الدولة و إلى نظر على أنها الأقرب و الأفضل.

دولتا المماليك: تنقسم دولة المماليك تاريخيا إلى عصرين أو دولتين [1] هما دولة المماليك البحرية و دلة المماليك الجراكسة.

1- دولة المماليك البحرية: 648-784ه/1250-1382م

و تسمى أيضا الدولة التركية لأن أغلب حكامها كانوا من أصل تركي، و هم الذين إختص بهم الملك الصالح نجم الدين أيوب و إعتمد عليهم في توطيد ملكه و أسكنهم معه في قلعة جزيرة الروضة نهر النيل وسماهم البحرية، و كانوا دون الألف مملوك[2] وكان عدد سلاطين هذه الدولة 24 سلطانا،[3] أي منذ تولى المعز أبيك التركماني حتى خلع الملك الصالح أمير حاج شعبان (ت800ه/1397م)،[4]

وكلمة البحرية أطلقت على طائفة من المماليك قبل تأسيس دولتهم، وهي الطائفة التي أسكنها الملك صالح نجم الدين الأيوبي بقلعة الروضة، فعرفوا بالبحرية[5] واشتهر من سلاطين هذه الدولة المظفر سيف الدين قطز الذي تولى الحكم سنة(657-658/1258-

---

[1]- يرى الأستاذ محمود رزق إسماعيل أن هذا التقسيم ليس له داعيا إلا الإختلاف في الجنس ، إذ أن أكثر سلاطين الدولة الثانية من الجركس ، الأدب العربي و تاريخه في عصر المماليك و العثمانيين و العصر الحديث ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر 1377هـــ/1957م، ص 05.

[2]- المقريزي ، الخطط ، ج 02، ص236، إبن خلدون التعريف بإبن خلدون ورحلته شرقا و غربا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981م، ص 1143.

[3]-أنظر الملحق رقم02،ص76.

4-المقريزي،الخطط،ج03،ص131-132،عبد الرحمان الجيرتي،عجائب الآثار في التراجع والأخبار المطبعة العامرية،مصر،1322،ص20.

5-المقريزي،السلوك،ج01،ص441،الخطط،ج03،ص122،العيادي،أحمد مختار،قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام،دار النهضة العربية،بيروت،1986،ص97.

1259)،وأصله من مماليك المعز أبيك وهو ثالث ملوكهم بالديار المصرية.[1]وفي عهده وقعت معركة مشهورة فاصلة في تاريخ المسلمين ضد المغول الذين احتلوا عاصمة العباسيين بغداد،[2]

ودمروها عن بكرة أبيها،فكان اللقاء تاريخيا قرب مدينة بيسان،[3]

تمكن خلالها المسلمون من إيقاف زحف التتار نحو الديار المصرية وهذا يوم الجمعة25 رمضان658ه/1260م،[4]

وكان يوما مشهودا تمكن المظفر قطز بعدها من ضم بلاد الشام ودخول دمشق وأصبحت مملكته تضم مصر والشام كله.[5]

1-تولى الحكم بعد المنصور المعز أبيك،حيث قام بخلعه والقبض عليه وسجنه مع والدته وأخيه،بحجة أنه صبي صغير لا يحسن تدبير الملك،وهذا سنة(657ه/1258م)،أنظر:ابن تغري البردية،النجوم الزاهرة،ج07،ص52،النويري،نهاية الأرب،ج29،ص300،فوزي رمضاني،إسهامات المالكية في الحياة العلمية في مصر والشام خلال العصر المملوكي(648ه-923ه/1250-1517م)،مذكرة دكتوراه في العلوم في التاريخ الوسيط،جامعة الجزائر02،كلية العلوم الإنسانية،قسم التاريخ،الجزائر،2017/2016م،ص24.

2-وأود أن أذكر في هذا المقام أنه كان لسقوط بغداد في أيدي التتار أثر عميق وجرح أليم في نفوس المسلمين والعلماء الذين حاصروا تلك النكبة،فدونوها في مصنفاتهم من هؤلاء وأحد علماء المالكية الكبار الامام القرطبي،أبو عبد الله محمد(671ه/1272م) الذي يذكر ما اغترب المسلمين من خطب جسيمة،إذ أن العدو قد"قتل من كان فيها وذلك محمود الإسلام وماؤه،فانتشر الخوف وعظم الكرب وعم الرعب وكثر الحزن بانتشار التنمر في البلاد ويقي الناس حيازي سكاري يغير خليفة ولا إمام...فزادت الفتنة وعظمت المحنة إن لم يتدارك الله سبحانه وتعالى بالعفر والفضل والمنة،التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة،تح:صادق بن محمد بن إبراهيم،ص110،مكتبة دار المناهج للنشر والتوزيع،الرياض،1425ه/2004م)،مج1،ص1237،

3-بيسان:مدينة بالأردن بالغور الشامي،ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج01،ص527.

4-وقد أفاض المؤرخون في الحديث عنها لأهميتها التاريخية عند المسلمين،كيف لا؟ وقد أعلى الله عز وجل راية الإسلام خفاقة بعد أن أسسها التتار وفعلوا بحاضرة العباسيين ما فعلوا،أنظروا العقدي،تحفة ذوي الألباب،ص162،ابن كثير،ج13،ص255،ابن تغري البردي،النجوم الزاهرة،ج07،ص73.

5-حمدي عبد المنعم،دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك،دار المعرفة الجامعية،مصر،2000،ص164،ابن تغري البردي،النجوم الزاهرة،ج07،ص73.

وعند عودته إلى مصر اغتيل وتولى الحكم مكانه الملك الظاهر بيبرس البند قداري،[1] الذي عد المؤسس الفعلي للدولة المملوكية وواضع نظمها وفي عهده توسع نفوذ المماليك إلى بلاد الشام والحجاز،وصار الظاهر بيبرس بلقب بسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار والحجاز،[2] ولعل أهم عمل قام به هو إحياؤه لرسوم الخلافة العباسية بالقاهرة سنة(659ه/1261م) ،[3] بعدما اختفت معالمها منذ تخريب بغداد على يد المغول سنة656ه/1258م,وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله،وأمسي المسلمون في العالم في موقف لم يعتادوه منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان هدف الظاهر بيبرس من ذلك كله،الحصول على التفويض شرعي لحكمه،[4] وبفعل تم له ذلك،فقد قام الخليفة،[5]

1-أصله تركي،أخذ بلاده وبيع دمشق واشتراه الأمير علاء الدين أبديكين الصالحي ت684ه وبه سمي البندق داري أي الذي يحمل جراوة البندق خلف حضرة السلطان،ثم صار من مماليك الصالح نجم الدين أيوب الذي أعتقه وقدمه على طائفة الجهدارية كما كان له من الفطنة والذي كاد وحضر واقعة دمياط،وهو الذي قتل سيف الدين قطز ابن تغري البردي،النجوم الزاهرة،ج07،ص94،المقريزي،السلوك،ج01،ص436،ابن كثير،المصدر السابق،ج13،ص222،الصفدي،محفة ذوي الألباب،ص458،ابن أباس،بدائع الزهور،ج01،ص307،النويرية،نهاية الأرب،ج30،ص15،القلقشندى،صبح الأعشى،ج05،ص458.

2-بيبرس الدوادار،زبدة الفكر في تاريخ الهجرة،تج،دونالدس،رينتشاردز،الشركة المتحدة للتوزيع،بيروت،1419ه/1998م،ص62،ابن تغري البردي،المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي،تج،دنبيل عبد العزيز،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1985م،ج03،ص447-448.

3-مع أن الخلفاء العباسيين في القاهرة لم يكن لهم من الحكم إلا بالإسم،بحيث كان حكمهم صوريا أي شكليا،فقط أنظر:

William miur.the caliphate its rise.descline.and fall.the religiuos tract society.1892.p591.

4-ابن أباس،المصدر السابق،ص83،المقريزي،الخطط،ج03،ص283،العبادي،المرجع السابق،ص158.

5-الخليفة هو أبو العباسي أحمد بن الطاهر ت660ه/1263م كان معتقلا ببغداد ثم نجا إلى الشام فلما سمع الظاهر بيبرس خبر وصوله إلى دمشق،استغل الفرصة وأرسل في طلبه واستقبله بحفاوة،وعقد له مجلسا وجمع القضاة والعلماء والأمراء ليشهدوا بصحة نسبه إلى آل عباس،ثم بايعه الظاهر كخليفة جديد وتلقب بالمستنصر بالله،ابن خلدون،العبر،1455،بيبرس الدواداري،المصدر السابق،ص67،ابن كثير،المصدر السابق،ج13،ص267-268.

كما قد الخليفة بدوره بتقليد الظاهر بيبرس السلطنة وسطا حفل كبير،[1]

وبذلك صار للمماليك شرق الزعامة الروحية على العالم الإسلامي بعدما صارت عاصمتهم مدينة القاهرة مصر رسميا للخلفاء العباسيين.[2]

ثم قام الظاهر بيبرس في خطوات أخرى ووضع عمالة ونوابه فيها،[3]

وإضافة لما ذكرناه فإننا نجد أن الظاهر بيبرس قام بالعديد من الأعمال التي تحسب له في تحسين أوضاع المجتمع، وتعذيب أخلاقه من بينها سنة لعدة تشريعات أهمها الأمر الذي أصدره عام685ه/1266م والذي منح بموجبه بيع الخور،وأغلق الحافات في مصر والشام،ونفي كثيرا من المفسدين واستمر عهده أب عهد الظاهر بيبرس من وفاته سنة76ه/1279م.[4]

1-بيبرس الدواداري،المصدر السابق،ص62،المقريزي،السلوك،ج01،ص530،ابن خلدون،العبر،ج05،ص895،ابن الدقماق،المصدر السابق،ص276.

2-لم يكن للخلفاء العباسيين في القاهرة من الحكم إلا الاسم الذي يذكر في الخطبة والسكة،أنظر:القلقشندى،مآثر الإناقة في معالم الخلافة،تج،عبد الستار أحمد فرج،عالم الكتب،بيروت،ج02،ص118،محمد طاهر حمادة،دارسة وثائقية للتاريخ الإسلامي ومصادره،ط01،مؤسسة الرسالة،بيروت،1408ه/1988م،ص368-369.

3-النويري،نهاية الأرب،ج30،ص229،عزمي عبد أبو عليان،مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبين في عهد المماليك،دار النفائس،عمان،1995،ص27-69.

4-بيبرس الدواداري،المصدر السابق،ص159-160،ابن تفري بردي،النجوم الزاهرة،ج07،ص177،المقريزي،السلوك،ج01،ص636،النويري،نهاية الأرب،ج30،ص369،ابن عبد الظاهر،المصدر السابق،ص472-473.

ويعتبر عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون،[1]

تاسع ملوك البحرية عصر الأوج في الحكم المملوكي بمصر وكانت فترة حكمه الأطول بين سلاطين المماليك.

وقد أكثر هذا السلطان من جلب المماليك خاصة من بلاد الروم،وأبطل كثيرا من النظم خاصة نيابة السلطنة وتفرد بالحكم،وامتد نفوذه من بلاد المغرب إلى الشام والنوبة والحجاز والسودان وهذا وأرسله ملوك الهند والصين والحبشة والتكرر والترك والإفرنج والروم والمغرب،[2]

واستمر الحكم في ذريته حتى قيام دولة الجراكسة ويعتبر عهده قوة والازدهار،[3]

ومثالا أعلى للسياسي في دولة المماليك البحرية.[4]

1-الملك الناصر محمد بن قلاوون،هو ناصر الدين محمد ابن سلطان المنصور سيف الدين قلاوون،ولد بالقاهرة سنة(684ه/1285م)،وتولى عرش السلطنة ثلاث مرات بعد مقتل أخيه الأشرق خليل،وكان عمره تسع سنين،وهي الأولى من(693-694ه/1294-1295م)،والثانيةمن(698-708ه) والثالثة هي أطول مدة حكمه(709 حتى وفاته 741ه/1310-1341م)،لذا يعد الملك الناصر محمد من أبرز سلاطين الأسرة القلاوونية والدولة المملوكية عامة وشهدت مصر في عصره نهضة حضارية،قاد العديد من الحروب ضد الصليبين والمغول،الكتبي،محمد بن شاكر،ت764ه،قوات الوفيات،تج،إحسان عباس،ط01،دار صادر،بيروت،1974،ج04،ص35،المقريزي،السلوك،ج02،ص189-307،ابن تغري بردي،مورد اللطافة في ولي السلطنة والخلافة،تج،نبيل محمد،دار الكتب العربية المصرية،القاهرة،د.ت،ج02،ص45،النجوم الزاهرة،ج08،ص41،الزركلي،الأعلام،ج07،ص11،ابن الجبدي الحسن بن عمر بن الحسن ت779ه،تذكرة النسبية أيام المنصور ونسبه،محمد أمين،طبعة دار الكتب،القاهرة،ص197،ج01،ص301.

2-القلقشندى،صبح الأعشى،ج08،ص63-119.

3-ابن أبيك الدواداري،كنز الدرر وجامع الغزو في سيرة الملك،الناصر،تج،هانس روبرت،رويمر،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1960،ج09،ص284.

4 -محمد سهيل طقوش،المرجع السابق،ص293.

ونشير هنا إلى أن ملامح الأوضاع السياسية في مصر والشام خلال عصر مماليك البحرية تمثل أساسا في دحض الصليبيين وكسر شوكة المغول الذي هدوا العالم الإسلامي واجتاحوا كثيرا في البلاد مما أدى إلى سقوط الخلافة سنة 656ه/1258م،فقد من الناس أنفسهم وتفرغوا لشؤونهم خاصة طلب العلم،ويضاف إلى ذلك إحياء الخلافة العباسية في مصر التي أصبحت تستقطب أنظار العالم الإسلامي،وفي هذا الصدد يقول المؤرخ السيوطي:"وأعلم أن مصر من حيث صارت دار الخلافة عظم أمرها،وكثرت شعائر الإسلام فيها،وعلق فيها السنة وعفت منها البدعة،وصارت محل سكن العلماء،ومحط رجال الفضلاء،وهذا سر من أسرار الله ودعه في الخلافة النبوية حيث ما كانت يكون معها الإيمان والكتاب...".[1]

دولة المماليك الجراكسة:784-923ه/1382-1517م

سميت هذه الدولة باسم الجراكسة أو شراكسة لأن سلاطينها كانوا من جنس الجركس،كما نسمي بالبرجية أيضا نسبة إلى أبراج القلعة أين كان يقطن مؤسسها،[2]

وابتدأت دولتهم منذ قيام حكم الملك سيف الدين برقوق سنة784ه/1384م،واستمرت حتى هزيمة طومان باي وإعدامه سنة923ه/157م

1-السيوطي،حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،محمد أبو الفضل إبراهيم،ط01،دار إحياء الكتب العربية،عبد البابي وشركاه،مصر،1387م،ج02،ص94.

2-المقريزي،الخطط،ج02،ص241،السير وبليم مويسر،المرجع السابق،ص40،العبدي بدر الدين،السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي،تج،فهيم محمد علوي شلفوت،ط02،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة،1998م،ص26.

على يد العثمانيين،[1] فنجد أنها دامت حوالي مائة وتسع وثلاثون سنة،وحكم في هذه المدة ثلاثة وعشرون سلطانا كلهم من جنس الجركس الأتراك، ماعدا السلطان خشعم ،[2] الذي حكم بين(865-872ه/1460-1467)،والظاهر تمريخا (872ه/1467م) اللذان يرجعان إلى أصل رومي،[3] ومن هؤلاء السلاطين نجد تسعة منهم حكموا مائة وست وعشرون سنة في حين حكم الأربعة عشر الآخرين ثلاثة عشر سنة.[4]

ونشير هنا أن أهم ما ميز فترة حكم جراكسة غياب نظام التوريث للحكم،إلا في بعض الفترات،ولا يدوم ولي العهد طويلا،لأن الأمر كانوا يصلون إلى السلطة بعد مؤامرات والاقتتال وتصفيات،[5] ولا يوجد فرق بينهما وبين الدولة الأولى أي البحرية إلا في هذا النظام الذي هدمه السلطان الظاهر برقوق (ت801ه/1384م)،وما سوي ذلك فإن الجراكسة ما هم إلا امتداد واستمرار لسلاطين الدولة البحرية في سياستهم وتقاليدهم وأنظمة حكمهم ،[6] وحتى في اهتمامهم بالحركة العلمية.

1-ابن طولون الدمشقي،مفاكهة الخلان في حوادث الزمان،وضع حواشية،خليل المنصور،ط01،دار الكتب العلمية،بيروت،1414ه/1998م،ص362-363.

2-خشعم:هم خشعم بن عبد الله الناصري المتوفى بشهر ربيع الأول عام892ه/1467م،أنظر:السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان،ت902ه،الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،نشر دار الكتاب الإسلامية،القاهرة،د.ت،ج01،ص246.

3-تمريغا هو تمريغا أبو سعيد الرومي الظاهر جقمق،توفي في شهر ذي الحجة عام(879ه/1474م)،تولى حاجبا ومقدما،أنظر السخاوي،الضوء اللامع،ج03،ص40

4-أنظر الملحق رقم03،رمز الخيان الذي بين سنوات حكم كل سلطان من سلاطين المماليك الجراكسة.

5-سعيد عبد الفتاح عاشور،الأوربيون والمماليك في مصر والشام،ص267.

6-العبادي،المرجع السابق،ص237.

اهتمام السلاطين المماليك:

كان واضحا مدى الارتباط الوثيق بين ازدهار الحياة العلمية في أي عصر من العصور وبين اهتمام القادة بالعلوم،وكلما كان التشجيع للعلماء بارزا من السلاطين والحكام والقادة والأمراء كانت النهضة أكثر وضوحا وازدهارا،وظهر هذا الأمر جليا في دولة المماليك البحرية،التي لم يكن سلاطينها وأمراؤها بعيد عن ذلك النشاط العلمي التي ساد مصر في عصرهم،فقد عرف عن السلطان الظاهر بيبرس،حبه للعم ورعايته للعلماء،وكان يميل إلى التاريخ وأهله ميلا زائدا ويقول:"سماع التاريخ أعظم التجارب"،[1]

وكان الناصر محمد بن قلاوون،محبا للآداب واللغة،عارفا بأساليب العربية وماما بالقواعد اللغوية والنحوية،إذ تتذكر المصادر أنه كان ينقد ما كان يعرض عليه من المراسيم ويصلحها،ولا يعلم على مكتوب حتى يقرأه.[2]

وكذلك الملك الصالح إسماعيل(ت746ه/1345م)،[3]

---

[1]–ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج07،ص182.

[2]–المقريزي،السلوك،ج2،ص247،ابن تغريري بردي،النجوم الزاهرة،ج10،ص63.

3–الملك الصالح:إسماعيل بن محمد بن قلاوون أبو الفداء علاء الدين،الملقب بالملك الصالح ابن الملك الناصر،أحد ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام،تولى السلطنة بعد خلع أخيه الناصر أحمد سنة (746ه/342م)،حسنت سيرته،حمل على إصلاح أمور الدولة المختلفة توفي بالقاهرة سنة(746ه/1345م) وكانت مدة سلطنته ثلاث سنين وشهر ابن تغري بردي،المنهل

الصافي،ج02،ص425،الزركلي،الأعلام،ج01،ص324،ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي محمد بن أحمد العسقلاني،ت782ه،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،ت:محمد عبد المعيد خان،ط03،دار المعارف العثمانية،حيدر أباد،1972م،ج01،ص425.

سار على منوال والده الناصر،فقد ذكرت المصادر أنه كان دينا محبا للعلم متمسكا بالأحكام الشرعية،[1]

ولم يكن الأمر مقتصرا على السلاطين المماليك فحسب بل تعداه إلى كبار أمراء الدولة،فقد كانوا محبين للعلم متمسكا بالأحكام الشرعية،ولم يكن الأمر مقتصرا على السلاطين المماليك فحسب بل تعداه أمراء الدولة،فقد كانوا محبين للعلم والعلماء،مشاركين في العلوم،ومن الأمير فخر الدين الصالحي.

المعروف بالمقري(ت687ه/1288م)،[2]

كان فاضلا يكتب خاطئا ويعظم أهل العلم والحديث،[3]

فضلا عن ذلك أن الغالبية من العلماء والكتاب ولا سيما المؤرخين كانوا موظفين إداريين وكتابا في الدولة المملوكية التي عد عصرها بعصر الموسوعات التاريخية والجغرافية والأدبية من ناحية التأليف والكتابة في عدة مجالات قام بتصنيفها علماء عاشوا داخل المجتمع المملوكي وخالطوا عامة الناس وخاصتهم حتى أصبح من الصعب تعقب العلماء الأعلام والإحاطة بهم لكثرتهم.

وكذا الحال مع الأمير زين الدين تبعا الحاجب الناصري(ت702ه/1303م)،[4]

---

[1]-ابن تغريري بردي،النجوم الزاهرة،ج10،ص78.

2-الأمير فخر الدين زين عبد الله الصالحي،النجمي،المعروف بالمقرب،أحد أكابر الأمراء بالديار المصرية ولاه الملك الظاهر بيبرس الحجابة وكان يعتمد عليه في الكثير من أموره ومهماته ولما تسلطن الملك المنصور قلاوون زاد في تعظيمه،وكان يسترسل إلى الملوك لما فيه من النباهة وحسن الإيراد،وكان فصيح العبارة لسنا خبيرا،عارفا بأمور الدولة وما يتعلق بالمملكة،وكان يقضي حوائج الناس،توفي سنة(687ه/1288)،انب تغردي بردي،المنهل الصافي،ج03،ص122.

[3]-النويري،نهاية الإرب،ج03،ص77،ابن تغردي بردي،المنهل الصافي،ج03،ص122.

[4]-ابن حجر،الدرر،ج04،ص306.

وهو من أكابر أمراء الدولة،كان محبا للعلماء والصلحاء ويحضر مجالس الحديث،ومن الأمور التي ساهمت في تنشيط وازدهار الحياة العلمية في مصر على عهد السلاطين المماليك،هو ذلك الاهتمام بالثغور بترولية السلاطين المماليك أمراء محبين للعلم وأهله،لما تشكله تلك الواجهة من مراكز لقاء مهمة تجمع العلماء من كل صوب أثناء مرورهم طلبا للعلم أو توجههم للحجيج،فمن هؤلاء على سبيل المثال،كوجبا سعد الدين الناصري (ت697ه-1297م) والذي كان نائبا بثغر الإسكندرية،وهو ممن استغل بالرواية.[1]

ومنهم أيضا بيبرس الدوادار(ت725ه/1324م)،[2]

صاحب المصنفات التاريخية المشهورة،أرسله الناصر محمد قلاوون إلى الإسكندرية سنة(694ه/1294م) لحفظه وتدبير شؤون الدولة.[3]

كما عرف عن بعض أمراء المماليك وأبنائهم في مصر اهتمامهم بالتاريخ والفقه والحديث واللغة وغيرها من العلوم،وتصدي بعضهم لتدريسها أعلى الطلبة،[4]

---

[1]-الصفدي،أعيان العصر وأعوان النصر،تج،علي أبو زيد وأخرون،ط01،دار الفكر،بيروت،1998م،ج04،ص162.

2-بيبرس المنصوري،الخطائي،الدوادار،ركن الدين،مؤرخ الأمراء بمصر،ولد بمصر كان من مماليك المنصور قلاوون،وقد استنابه بالكرك،ثم صار السلطان وناظر الأحباس،تاب للسلطنة في الديار المصرية،ولاه الناصر محمد بن قلاوون سنة(725ه-1325م)،ومن تصنيفه(زبدة الفكر في تاريخ الهجرة)والتحفة المملوكية في الدولة التركية،ابن حجر،الدرر،ج02،ص50،ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج09،ص263،السيوطي،حسن المحاضرة،ج01،ص555،الداري تقي الدين بن عبد القادر التميمي،الغزي،ت1010ه،الطبقات السنية في تراجم الحنفية،تج،عبد الفتاح محمد الحلو،مطابع الأهرام،القاهرة،1970،ج02،ص266،الزركلي،الأعلام،ج02،ص80.

[3]-ابن حجر،الدرر،ج02،ص50،ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج09،ص163.

[4]-السبخاوي،التبر المسبوك في ذيل السلوك،مكتبة الكليات الأزهرية،القاهرة،د.ت،ص415.

ومن مظاهر اهتمام السلاطين المماليك بالحياة العلمية،هو اهتمامهم بمراكزها العلمية كافة ونواحيها ومن ذلك،اهتمامهم بالمساجد،إذ عمل السلاطين المماليك على تشييد وأعمار عدد كبير منها،كما عبر عن ذلك القلقشندى بقوله:فعمر بها من الجامع مالا، يكاد يحصى،[1]

لكثرتها،في حين قدر المقريزي عدد المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة في مصر والقاهرة بمائة وثلاثين مسجدا وهذا تابع من إيمان السلاطين المماليك بدور المساجد لم يقتصر على الغرض الأساسي الذي تشيد من أجله وهو العبادة،بل كانت المساجد تردي دورها العلمي من خلال التدريس،وقد عد ابن الحاج مواضع التدريس بثلاثة أماكن البيت،والمدرسة والمسجد،[2]

ومنها أيضا اهتمامهم بالمدارس والكتاتيب،فكان أكبر دليل على النشاط العلمي،كثرة المدارس المنتشرة في أنحاء دولتهم،ولا مبالغة في القول إن السلاطين المماليك بنوا من المدارس مؤملا الخطاط وشحنها،[3]

وكذلك ذكر ابن بطوطة عن مدارس مصر أنه لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها،[4]

والواقع أنه لا يمكن القول بوجود سياسة تعليمية للدولة أو السلاطين في عصر المماليك،وكل ما هناك إن السلاطين المماليك وأمراءهم أسهموا بفاعلية في بناء المدارس والمكاتب والمساجد مدفوعين إلى ذلك بعوامل عديدة منها،عامل

---

[1]-القلقشندة،صبح الأعشى،ج03،ص413.

[2]-ابن الحاج،المدخل،ج02،ص97.

[3]-القلقشندى،صبح الأعشى،ج03،ص416.

4-أبو عبد الله محمد بن عبد الله إبراهيم اللواتي الطنجي،ت779ه،رحلة ابن بطوطة المعروفة بلا تحفة النظار في غرائب الأمطار،الرباط1996م،ج01،ص203.

التقوى،ومنها اتخاذهم بناء المساجد دعاية لهم ليرتفع شأنهم في أعين المجتمع والعامة ودعم مركزهم السياسي.[1]

أما الكتاتيب فقد شهدت توسعا ملحوظا في العصر المملوكي وكثر عددها إذ كانت تهدف إلى أن تكون بداية لتعليم الأولاد على المنهج الأقوم و الطريق الأرشد[2].

وشهد العصر المملوكي نوعين من هذه الكتاتيب، أولها: الأهلية وهي التي يتخذها من له قدرة على التعلم وسيلة للتكسب فيتعلم فيها الصبيان بأجل معلوم يدفعه أولياؤهم له،[3]

وثانيهما:العامة التي أنشأتها الدولة أو أصحاب المناصب من السلاطين والأمراء والتجار والعلماء،بحيث تكون من جملة الأوقاف،يكون التعليم فيها دون أجر وتكون للأيتام والمعدمين من الفقراء والمساكين.[4]

وكان من اهتمام السلاطين أيضا في دعم الحركة العلمية،وتنشطيها هو اهتمامهم بالأربطة،والخانقاهات والزوايا ،[5] ومن الملاحظ أن هذه المؤسسات ارتبطت بطائفة كان لها من الشهرة في عصر السلاطين حظ وافر ألا وهم الصوفية،فقد اهتم سلاطين المماليك وأمراؤهم ببيوت الصوفية فشيدوا منها الكثير

---

[1]–عاشور،المجتمع المصري،ص143.

[2].إبن الحاج ، المدخل، ج02، ص314.

[3]–ابن الحاج،المدخل،ج02،ص311.

[4]–الحجي،حياة ناصر،صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك،ط01،دار القلم،الكويت،1992،ص187.

5–الزوايا:هي جمع زاوية وهي مشتقة من الفعل انزوي،بنزوي،وهي كلمة عربية تعني الركن من الدار أو المكان عامة،وأطلقت على المكان الذي يأوي إليه الكثير من المقتطعين للعلم والزهاد والعباد،المقريزي،السلوك،ج02،ص113،الحجي،صور من الحضارة،ص162.

وحبسوا عليها الأوقاف فقد روى ابن بطوطة إن أمراء السلاطين كانوا يتنافسون في بناء الزوايا،[1]

وعدت مشيخة الخوائف من الوظائف التي يصدر بها قرار من ديوان الإنشاء السلطاني،وكل خانقاه يعامل شيخها في المكاتبة بحسب أهمية الخانقاه التي يتولى مشيختها،[2]

ومما زاد من مشهدا اهتمام سلاطين المماليك بالحياة العلمية وأصحابها،ما قاموا به من جهود تكتل برفد هذه المؤسسات والمراكز العلمية بالمكتبات والكتاب لما لها من أهمية.

في ازدهار النشاط العلمي،وإلحاقها بكل مؤسسة منها،ومما يدل على غزارة المكتبات في عصر السلاطين المماليك ذلك النشاط العلمي الواسع في التأليف والترجمة من ناحية،وجمع الكتب وإنشاء المكتبات والعناية بها من ناحية أخرى إذ كان السلاطين المماليك أنفسهم أول من قدر أهمية الكتب، فاحتفظوا في قلعة الجبل بخزانة كتب كبيرة،حوت على مجموعة ضخمة من الكتب في مختلف العلوم[3] .

---

[1]–أبو عبد الله بن عبد الله إبراهيم اللواتي الطنحي،ت699ه رحلة ابن بطوطة المعروف بتحفة النظار في غرائب.

[2]–القلقشندى،صبح الأعشى،ج11،ص118.

[3]–ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج08،ص33.

كما حرص المنصور قلاوون أن يزود مكتبة المدرسة المنصورية،[1]بالكثير من الكتب في التفسير والحديث والفقه واللغة والطب وغيرها من العلوم.[2]

إن إهتمام السلاطين بالعلماء كان عاملا في إزدهار الحياة الفكرية بمصر[3] فلقد صارت مصر منذ عصرسلاطين المماليك حاملة لمشعل الثقافة العربية ،مما زاد اهميتها علي المستوي العلمي[4] ومن المعروف أن مثل هذه النجاحات الكبيرة تبني علي العلوم بأنواعها والفكر المتميز ،وهذا الفكر بحاجة إلي رعاية وحماية ، ومن غير الملوك والسلاطين يملك الإرادة والقوة علي رعاية الفكر وتلك العلوم ،لكن فاقد الشيء لا يعطيه فإن لم يكونوا و المعرفة ، فكيف يملكون الإرادة لرعاية العلم وتشجيعه ،قال إبن الطقطقا: الملك " **اذا كان خال من العلم كان كالفيل الهائج لا يمر بشيء الا خبطه ،ليس له زاجر من عقل ،ولا رادع من العلم**[5] . فبالرجوع الي كتب التاريخ نجد أن السلاطين المماليك إهتموا بالفكر والعلماء والعلوم وكان معروفا عنهم حبهم للعلم والعلماء فمنهم الظاهر برقوق 791هـ /1388م كان إذا اتاه احدا منهم قام اليه ولم يعرف أحدا قبله من

1-المدرسة المنصورية،أنشأها الملك المنصور قلاوون الصالحي،على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعي،وكان يدرس فيها الفقه على المذاهب الأربعة والتفسير والحديث والطب،وألحق بها الملك خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم،القلقشندى،صبح الأعشى،ج03،ص415،المقريزي،الخطط،ج02،ص264،السيوطي،حسن المحاضرة،ج02،ص265،العيني،أبو محمد بن أحمد ت855ه،عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان،تح،محمود رزق محمود،ط02،دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة،2010،ج01،ص192.

2-النويري،نهاية الأرب،ج29،ص282.

3.سليم ،محمود رزق الادب العربي وتاريخه في عصر المماليك العثمانية والعصر الحديث ،مطابع دار الكتاب العربي ،القاهرة،1377ه/1957م ص 10 -11.

4. عبد المنعم ماجد المرجع السابق ص 302.

5.ابن الطقطقا محمد بن علي بن الطيطبا ت 701هـ/1302م، الفخري في الأداب السلطانية والدول الاسلامية ،دار صادر بيروت د-ت ص 18.

ملوك الترك يقوم لفقيه وقلما كان يمكن أحد منهم من تقبيل يده[1] وكان علي علاقة ود واحترام مع الكثير من العلماء ،حتي انه اوصي قبل موته بدفنه تحت ارجل من كبار المشايخ[2] وكان بعض السلاطين ينزلون من القلعة مرة او مرتين في السبوع ليزورو احد العلماء او يعوده في مرضه ان مات ذلك العالم حضر السلطان جنازته[3] ومما يؤكد مكانة العلماء في الدولة المملوكية حضور كل من السلطان المؤيد احمد 865هـ/1460م وظاهر تمربغا 872هـ/1467 م مجنازة الشيخ محمد المالقي وكان مما حمل نعشه وترحما عليه

كما كان السلاطين يستعينون بالعلماء في الشؤون الخارجية والداخلية للبلاد فعند تعرض البلاد لخطر تيمورلنك[4] لعب العلماء دورا حيويا إذ تضافرت سلطات برقوق مع العلماء لصد هذا الخطر ،فقد طاف العلماء شوارع القاهرة حث الناس علي الجهاد كان منادي

يقول :الجهاد في سبيل الله ضد عدوكم تيمورلنك فانه اخذ البلاد ...[5] كما اسهم العلماء في النواحي الإقتصادية فقد حرص بعض السلاطين علي عرض سياسة الدولة النقدية فيما يتعلق بالذهب والفضة عليهم ،لتفادي رد فعل العامة إذ تضرروا من تغيير العملة الجاري التعامل بها فسيكون راي العلماء والفقهاء في

---

[1].المقريزي ،السلوك،ج05، 231 ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة، ج، 03 ص 284.

[2].البطاوي،حسن احمد، اهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك،ط01 عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ،القاهرة،2007م ص 144.

[3].المقريزي ،السلوك ، ج03 ،ص 444.

[4] .تيمورلنك : ملك تيمورلنك بن ترغاي بن الغاي من مدينة كش وهي مدينة مشهورة فيما وراء بلاد النهر ويقال إن أمه أوجدته من ذرية "جنكيزخان" ولد سنة 728 هـ كان قوي القلب شديد البطش، وينتمي الي بيت من اشراف التتار اسمه "تيمور" وكلمة اللن تعني الاعرج ولذلك عرف باسم تيمورلنك قام بالغارة علي بلاد المملوكية واستولي على حلب انظر: السخاوي شسمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمان ت 902هـ/1496م، الضوء اللامع ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د-ت، ج03 ص46 .

[5]المقريزي ،السلوك ، ج02 ص 1036.

هذه الحالة سندا شرعيا لتبرير سياستهم ،فيكسب ثقة ومساندة العلماء يتم كسب ثقة الشعب[1] ،فالناس كانت تحب العلماء وتسمع لهم .

وقد وجدنا في آية من القرآن الكريم سبب إهتمام السلاطين المماليك بالعلم وهذا في قوله تعالي : قال ان الله اصطفيناه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم[2] .

حيث ذكر بعض المفسرين لهذه الآية ماينبغي أن يكون عليه حال الملك فقالوا : والملك لابد أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل ذليل مزدرب غير منتفع به ،وأن يكون جسيما لأنه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب[3]

إهتمام العلماء :

إن إستقرار الحياة السياسية والإقتصادية في عهد المماليك في مصر كان له أثر ايجابي علي الحياة العلمية وإهتمام العلماء[4] فسقوط الخلافة العباسية في بغداد 656 ه/1258 م علي ايدي الماغول[5] وماشهدته بلاد الأندلس من سقوط علي ايدي النصاري الاسبان وبلاد الشام علي يد الصليبيين كما أن بلاد المغرب لم تكن أفضل حال وكثرت الفتن والخلافات فلم يجد العلماء مكانا أمنا لهم فكل هذا أدي الي هجرة العلماء الي مصر حيث وجدوا الاستقبال المملوء بالحب والاحترام

---

[1]. ابن اياس، المصدر السابق ،ج02، ص 508.

[2].سورة البقرة الاية 247.

[3].النفسي ،ابو البركات عبدالله بن احمد ت710 هـــ /1310م، تفسير النفسي، تح، الشيخ مروان محمد الشعار ،دار النفائس ،بيروت 2005م،ج01 ،ص 131.

[4]. ليلي ابراهيم نافع ،الحياة الثقافية في مصر في العصر المملوكي من سنة (648ه/923ه-1250م /1517م).

[5] .يذكر المقريزي أن مصر استقبلت ابان الغزو الماغولي عددا كبيرا من المشارقة الذين بنو لانفسهم بيوتا علي ضفاف الخليج وحول بركة الفيل انظر: المقريزي ،الخطط،ج01 ،ص 364-365.

والاهتمام وترحيب من السلاطين وتشجييع لهم من خلال تشييد المراكز التعليمية وتوفير كل ماتحتاجه العملية التعليمية وفي ذلك يقول السيوطي حيث صارت دار الخلافة عظم أمرها وكثرت شعائر الإسلام فيها . وصارت مصر محل سكن العلماء ومحط رجال الفضلاء وهذا من أسرار الله أودعه في الخلافة حيث ما تكون معها الإيمان[1] ...

وذا كله أدي إلي إزدياد النشاط العلمي وجذب إهتمام كبار العلماء من كل البلدان[2] وتقاطرت العلماء المسلمين من الشرق والغرب إلي القاهرة حيث الثروة والرغد وفرص التدريس في مدارسها العديدة الدينية والملتقيات الزاخرة بالمخطوطات إضافة إلي الإحساس بالأمان[3].

وبذلك زاد إهتمام العلماء بالعلم والتأليف وتدريس فأصبحوا يأتونها من كل مكان ليجدوا في رحابها الإنفتاح الثقافي[4] ، و من ناحية أخرى توفر المناخ الفكري و حرية التعبير للعلماء في البحث و الدرس[5]، و صار الترحب بهم، سنة متبعة مما أدى إلى تنافس العلماء في ما بينهم وشعورهم بالمسؤولة جعلهم يبدعون في ميادين العلم و التأليف، فشهدت مصر حركة علمية جليلة الشأن و تنوعت العلوم حتى سمي ذلك العصر بعصر الموسوعات العلمية [6]. حيث قال إبن خلدون عندما قدم إلى مصر في ذلك العصر : " ...**رأيت حاضر الدنيا و بستان العلم ، و**

---

[1]. السيوطي ،حسن المحاضرة،ج02،ص 94.

[2]. ابن خلدون ،العبرة ،ج05، ص 648-689.

[3]. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج01، ص 06.

[4]- عبد المنعم ماجد ، المرجع السابق، ص 302.

[5]- النشار السيد السيد، تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي ، ط01، دار المصرية اللبنانية، 1993م، ص56.

[6]- سليم محمود رزق، المرجع السابق، ص 10-11.

محشر الأمم و إيوان الإسلام" [1] . و هذا كله كان له أثر في نفوس العلماء وردت فعل دعاهم لإحياء التراث العلمي و نجديده.

و على الرغم من كل هذه الإمكانيات و الأسس فإن إهتمام سلاطين المماليك بالعلماء كان هو الداعم الحقيقي ، و الخلافة وحدها لم تكن لتحقق مثل هذا النجاح فنحن لا ننكر أن مصر ورثت بغداد بعد سقوطها كميراث علمي كبير ، إلا أن النهضة الفكرية التي شهدتها مصر لم تكن لتبلغ ما بلغته فكل التشجيع الذي حظي به العلماء أدى إلى هتمامهم بالعلم و التأليف عن عصرهم. و في هذا يذكر أحد الباحثين: "**إن هناك أسبابا كثيرة لنهضة العلم و إزدهاره في عصر المملوكي لكن هذه الأسباب مع كثرتها و قوتها لم تكن لتنهض بعبء هذه الحركة العلمية و إزدهارها لو لم تكن لدى سلاطين المماليك إرادة لتحقيق ذلك**"[2]

لقد شهد عصر المماليك انتعاشا فكريا عظيما يوازي في الكثير من تفاصيله ما شاهدته الحضارة العربية الإسلامية من نهضة عصورها المختلفة فيوجد المئات من المؤلفات التي تتكلم عن المئات من العلماء والذين صاغو العصر بفكرهم ، و ملئوه با مؤلفاتهم التي احتوت على الكثير من الإبداعات والانجازات التي مازالت إلى يومنا هذا تملا مكتبات العالم في الشرق والغرب و يشكل مضمن الواجد في هته المؤلفات التي وضعت من العصر الملوكي موسوعة فخمة تجمع التاريخ و الجغرافيا و العلوم النظرية و العلوم التطبيقية و التراجع و مختلف الفنون والآداب فلا نبالغ إن أطلقنا على هته الكتب تسمية دائرة المعارف

[1]– إبن خلدون ، العبر ، ج05، ص648.

[2] – فرغلي إبراهيم، الحركة التاريخية في مصر و سوريا خلال القرن السابع الهجري ، ط01، العربي للنشر و التوزيع ، القاهرة، 2000م، ص55.

فيعد العصر المملوكي من أغزر العصور العربية الإسلامية في حقل الكتابة و من أغناها في حقل التأليف ولازالت آثاره المادية إلى غاية يومنا هذا.

و الغريب ان عصر المماليك على الرغم من كل ما ذكرناه تعرض للظلم ما بعده ظلم فوصف بأوصاف بعيدة جدا عن واقعه ، ومن ذالك ان المشتغلين بالغة و الآداب العربية اطلقو عبارة "عصر الانحطاط " على الحضارة العربية الإسلامية في عصر المماليك ،وهم يعنون بذلك ان هذا العصر لم يكن عصر اصالة وابداع في العلوم عامة ، وانه ماخرون ذلك العصر بانه عصر مختصرات وشروح ،للابداع فيه وللابتكار ، ومن خلال ذكر مؤلفات المالكية في مصر خلال العصر المملوكي سرد علي هؤلاء الذين اتهمو عصر المماليك بانه عصر انحطاط .

-الرحلات العلمية وتحصيل الإجازات عند المالكية في مصر خلال العصر المملوكي:

1- **الرحلات العلمية عند المالكية:** تعد الرحلة من مميزات جهود المسلمين في طلب العلم, وكان العلماء [1] يحثون الطلبة على القيام بها فكان الطالب يترك بلدته بعد ان يستفيد من علمائها فيتوجه إلى مراكز العلم المنتشرة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي على الرغم من كثره المشاق وكثره الأخطار التي لم تقف حائلا دون تلك الرحلات [2] .

---

[1]- وقبلهم القران الكريم حيث يقول تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة آية 122) , والرحلة في طلب العلم هي سنة الأنبياء والصالحين عليهم السلام فقد رحل سيدنا موسى عليه السلام إلى الكفر يتعلم منه فقال له: (قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) (الكهف آية66)

[2] – الخطيب البغدادي: رحلة في طلب الحديث تح ، نور الدين عنتر، ط 01 دار الكتب العلمية، بيروت ، 1395 ه / 1975 م، ص 127.

وقد أولاها العلماء اهتماما بالغا حتى أن بعضهم كان يمنع الإجازة [1] كوسيلة لأخذ العلم لأنها تطيل الرحلة ، [2]وتثبط العزائم على السفر وتحل مشاقه.

ويظهر لنا أنه كان من عادة الطلبة في ذلك الوقت اخذ العلم عن علماء بلدهم أولا قبل التفكير في الرحلة خارجه والتوجه نحو المراكز المنتشرة في العالم الإسلامي. [3] قال ابن خلدون: " إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم... فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال." [4]

ونذكر أمثلة عن بعض الطلبة المالكية الذين ارتحلوا من اجل العلم خلال الفترة التي تغطيها هذه الدراسة ومنهم:

أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم ابن الشرش الأنصاري التلمساني

نزيل الإسكندرية (ت 656 هـ. 1257 م) حج وسمع بمكة من زاهر بن رستم [5] والشيخ أبو الحسن يحيى بن علي بن عبد الله بن مفرج النابلسي الأصل المغربي (ت 662هـ / 1263م) بطلب العلم بمصر على عدة مشايخ ، ثم انتقل

---

[1]– الإجازة : هي إذن الرواية ، لفظا أو كتابة كان يقول الشيخ الأحد طلوية : أجزت لك أن تروي عني صحيح البخاري ، والإجازة أنواع كثيرة ، أنظر : ابن صلاح ابو عمر وعثمان بن عبد الرحمن 6 هـ / 1245م ، معرفه أنواع العلوم الحديث ويعرف بمقدمه ابن صلاح ، تح : نور الدين عنتر، دار الفكر سوريا ودار الفكر المقاصر، بيروت ، 1406، هـ / 1986 م، ص 151.

[2]– ابن الصلاح ، المرجع السابق ، ص152.

[3] – علي بن محمد بن سعيد الزهراني. الحياة العلمية في حقليه الإسلامية (212 – 184هـ / 826 – 1091 م) رسالة دكتوره ، قسم الدراسات العليا التاريخية ،جامعة أم القرى، مكة المكرمة،1417 هـ– 1996م ، ص 200–201.

[4] – ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش ، ط10، دار البياض، دمشق، 1425هـ / 2004م. ج 02، ص358.

[5]– الحسيني عز الدين ، صلة التكملة لوفيات النقلة ، ضبط النص و علق عليه أبو يحي عبدالله الكندري ط01 ، ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، (1426هـ/2005 م) ، ص 302 .

مكة، وسمع من الفقيه أبي علي ناصر بن عبد الله المغربي [1] و كذلك تقي الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عيسى السعدي المصري (ت750ه/1349م) سمع بمكة شرفها الله تعالى و كان من أعيان فقهاء زمانه بمصر[2] ضف إلى هؤلاء أيضا فخر الدين عثمان بن يوسف بن أبي بكر النويري (ت 756 ه / 1354م) حفظ الموطأ وتنقل بين مصر والشام والحرمين طالبا للعلم ملازما للمشايخ حيث تفقه على الكثير منهم [3] حتى احكم المذهب المالكي ونبغ فيه وصار مدرسه ومفتيا.

ونستنتج من هذه النصوص أن الرحلة كانت تقليدا علميا متعبا لدى أهل العلم كما أننا نلاحظ أن المغرب لم يحضر بأي رحله لان المغاربة كانوا هم الذين يرحلون إلى مصر. ومن عوامل المساعدة على نجاح تلك الرحلات أداء فريضة الحج فلقد كان الشيوخ والطلبة حريصين على أداء فريضة الحج حتى تتاح لهم الفرص في التعليم والتعلم.

2- تحصيل الإجازات العلمية:

تعد الإجازات العلمية من أهم العوامل التي ساعدت على تطور ونمو الحركة العلمية في البلدان الإسلامية ويرى الخطيب البغدادي أن الإجازة " أن يسال طالب العلم العالم أن يجيزه علمه فيجزيه إياه والطالب مستجيز والعالم مجيز" [4] وعليه فان تلك الإجازة هي بمثابة شهادة لحاملها على أنه قد بلغ مستوى علميا مقبول

---

[1] -البرازلي علم الدين القاسم بن مهدبن يوسف ، مشيخة قاضي القضاة شيخ الاسلام بدر الدين ابي عبد الله محمد بن ابراهيم ابن جماعة المتوفي سنة 733ه دراسة تح : موقف عبد الله بن عبد القادر ط01 / دار الغرب الاسلامي / بيروت /1408ه /1988م /ج02 ، ص 549-550

[2]- ابن فرحون ، ابراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري المالكي ت799ه /1396م ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح و تعليق: د، محمد الأحمدي أبو االنور ، دار التراث للطبع والنشر ، القاهرة د.ت ،ج02 ، 3 ،السيوطي ، حسن ، المحاضرة ، ج01، ص460.

[3]- المقريزي ، السلوك ، ج04 ، ص224 ؛ إبن قاضي شهبة تقي الدين أبو بكر أحمد لاسدي ت 851ه /1448م ، تاريخ إبن القاضي شهبة ، تح : عدنان درويش طباعة مشتركة بين المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، و الجفاق و الجابي لطباعة و النشر ، قبرص ، 1994 / مج 03/ج02 ، ص85-86.

[4]- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية ، تح: أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، د.ت، ص213.

تخوله حق الرواية ولم تكن تمنح الإجازات إلا بعد التحقق من كفاءة المتعلمين ويشترط أن يكون المجيز عالما يعلم بجيزة متقنا لغته ثقة في دينه وان يكون المستجيز من أهل العلم[1].

ونذكر بعض ممن تحصلوا على الإجازات من بينهم:

ضياء الدين أبو العباس احمد بن إبراهيم القرطبي المعروف بابن المزين (ت 656ه / 1257م) نزل الإسكندرية واستوطنها ودرس فيها وكان مجدا في تحصيل الإجازات ومن أمثلة ما حصل عليه منها إجازة برواية صحيح المسلم حيث يقول عن نفسه :" وقد رويته عن غير واحد من الثقافات الأعلام قراءه وإجازة بمصر وغيرها، عن الشيخ الشريف أبي المفاخر سعيد بن حسين المأموني [2] الهاشمي سمعا عن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن الفضل بن احمد الصاعدي الفراوي [3]. "

وأبو الحسن علي بن محمد الصالحي المغرب (ت 670 ه /1271 م) يخبرنا الحسيني أنه" حدث عن الحافظ أبي طاهر احمد بن محمد السلفي بالإجازة للعامة وفكر أن له منه إجازة معينه[4] ."

والمقرئ زين الدين أبو محمود الحسن بن عبد الكريم بن عبد السلام الغماري المغربي (ت 712ه / 1312 م) اخبرنا عنه الذهبي قائلا :" سمع من أبي القاسم بن عيسى المقرئ ومحمد بن عمر القرطبي وتفرد عنهما [5] .

---

[1]– القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض الأندلسي اليحصبي السبتي المالكي ت 544ه /1149م ،الإجماع إلى معرفة أصول الرواية و تقييد السماع ،تح:السيد أحمد الصقر، ط01، دار التراث ، القاهرة ومكتبة العتيقة ، تونس ، 1379ه/1950م ،ص95.

[2]– هو راوي صحيح البخاري بمصر، توفي سنة 576ه /1180م ،الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت 748ه 1346م، العبر في خبر من غير ، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، د.ت ، ج04 ، ص229.

[3]– القرطبي أحمد بن عمر ، المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ،حققه وعلق عليه محي الدين ديبمتو وآخرون ، ط01، إبن كثير ، دمشق و دار العلم الطيب ، بيروت ، 1417ه/1996م،104.

4– الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج 49 ،311، الحسيني عز الدين / مصدر سابق، ص 464. [4]

[5]– الذهبي ، العبر ، ج04/ ص35 ، إبن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج08 ، ص 55 ، السيوطي ، حسن المحاضرة ن ج01 ، ص389.

وكذلك فخر الدين أبو عمر وعثمان بن محمد بن عثمان التوزري (ت 713 هـ / 1313م) سمع بمصر والشام واستكثر من الشيوخ فضلا عن استكثاره من الإجازات قال عنه البرازلي :" وله شيوخ كثرا بالسماع والإجازة يزيدون عن ألف شيخ "[1]

ولا شك أن الحصول على الإجازات يحتاج إلى جهد علمي كبير وهذا ما لمسناه في تراجع علماء المالكية الذين بلغوا هذه المرتبة فلم يكن ذلك سهلا عليهم كدوا وجدوا واجتهدوا ولازموا المشايخ حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه.

-المجالس العلمية المالكية في مصر خلال العصر المملوكي (648 هـ / 923م _ 1250 هـ 1517)

تعتبر المجالس العلمية من عوامل تطور الحركة العلمية في البلاد الإسلامية عامه حيث كانت تقوم بدورها في التعليم والمناقشة والفتوى والجدل والمناظرة ويدرس في هذه المجالس كافه العلوم من حديث وفقه وتفسير ونحو وأدب وغير ذلك وقمنا في دراستنا هذه بتصنيف مجالس العلم المالكية إلى:

أولا : مجالس القران الكريم والحديث النبوي الشريف: ونتطرق إليها كالآتي:

1- **مجالس القران الكريم وعلومه** : وهي المجالس التي يجتمع فيها العلماء وطلبه العلم على مائدة القران الكريم، وجعلت عرضه وسماعه وتلاوته وتفسيره أصلا لتلقيه وإرشاده وحفظه في الصدور واهتم بهذا الجانب فئة من علماء المالكية لهم باع كبير فيه ومن هؤلاء نذكر الشيخ ابا محمد عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي (ت 681 هـ / 1282م) تنقل بين مصر والشام لتحصيل القراءات واجتهد في ذلك حتى نبغ فيه [2] وكذلك ابو محمد عبد

---

[1]- البرازلي ، الوفيات ، ضبط وتعليق : أبو يحي عبدالله الكندري ، ط01، غراس للنشر و التوزيع ، الكويت 1426ه/2005م/ص207، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج03، ص 262.

[2]- ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشافعي ت833 ه/1423مغاية النهاية في طبقات القراء نتح:ج بر جستراسر ، ط01، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2006م ، ج01 ، ص386 – 387.

الله بن منصور بن اللخمي الاسكندراني المعروف بالمكين الاسم (692هـ / 1292م) كان مقرئ الاسكندرية خاصة والديار المصرية عامة ثقة صالحا قرأ القراءات الكثيرة على مشايخ القراء في زمانه واخذ عنه جماعة [1] وقد تحسر الإمام الذهبي على فقده حيث انه كان يتلهف للقائه والأخذ عنه وهذا ما لم يتم له لان والده لم يسمح له بالسفر [2] .

وعبد الوهاب بن علي بن حسن المالكي المعروف في القاهرة آنذاك بالتاج الاسكندري (ت 868هـ/ 1463 م) والذي نبغ في علم القراءات أيضا وشهد له السخاوي المؤرخ بحفظه وفصاحته وتميزه في القراءات، فضا عن حسن الأداء وتصدى هو بدوره لمجالس الإقراء وتدريس طلبه العلم فتخرج على يده طائفة من القراء [3]

1- **مجالس الحديث النبوي الشريف:** ونقصد بها المجالس التي يتدارس فيها سنة النبي صلى الله عليه وسلم ورواية أحاديث وقد اهتم بها علماء المالكية وكان لهم الشغف الكبير بها خلال حقيه الدراسة كل عليه ما سنورده من تراجع أولها الشيخ نظام الدين أبو عمر و عثمان بن عبد الرحمن بن عتيق الربعي المصري (ت 666هـ/ 1257م) وهو من أهل بيت مشهور بالعلم والدين والرواية وكان اهتمامه منصبا على رواية الحديث حيث سمع "صحيح البخاري" على كبار المحدثين ثم تصدره لإسماعه وروايته من هو المؤرخ الحسيني وبدر الدين ابن جماعة وأيضا الشيخ ابو عبد الله جمال الدين محمد بن المكين ابي الطاهر إسماعيل التنوخي الاسكندراني (708هـ/ 1308م) كان من علماء الاسكندريه ومحدثيهم سمع منه جماعة [4] ونذكر أيضا فخر الدين احمد بن محمد

---

[1]- ابن الجزري الدمشقي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 460 ، الذهبي ، معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار ،تح: يشار عواد معروف و آخرون ،ط01 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1404هـ، ج02، ص688 – 689 ، ابن عماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج07 ، ص 735.

[2]- الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، ج02 ، ص 688 – 689.

[3]- السخاوي ن الضوء اللامع ، ج06، ص17 – 18.

[4]- إبن عماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج08، ص34.

بن عبد الله الاسكندري المعروف بابن مخلطه سمع الحديث وتصدر لتدريسه بدمشق درس المشتقلين بالحديث في المدرسة الصرغتمشية [1] بالقاهرة ومن أمثله مجالس العلمية التي عقدها علماء المالكية في علم الحديث وهي كثيرة نذكر منها اثنان:

المجلس الأول: عقد بالجامع العتيق [2] بمصر تمت فيه رواية حديث للنبي صلى عليه وسلم وذكر هذا المجلس ابن جماعه (ت 733ه / 1332م) قائلا: " أخبرنا الإمام العلامة

أبو الحسن علي بن وهب ابن مطيع القشيري المالكي" قرأت عليه وأنا أسمع في شوال سنه ثلاثة و ستين و ستة مئة بعلو الجامع العتيق بمصر المحروسة، قال: أنا الحافظ أبو الطاهر احمد بن محمد بن احمد السلفي

يثفر الاسكندرية قال: أنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار ابن احمد بن قاسم الحيرفي قال: أنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي الطحان قال : أنا أبو الحسن علي بن عمر بن جعفر بن محمد السكري، قثا عبيد الله بن عمر بن أيان القريشي، قثا أو أسامة، عن الحسن بن كثير، قال: حدثني عبد الرحمن بن الحارث، عن عمرو ابن شعيب عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من طلق مالا يملك فلا طلاق له ومن أعتق ما لا يملك فلا عتاق له، ومن نذر فيما لا يملك فلا نذر له، ومن حلف على معصية الله عز وجل فلا يمين له، ومن حلف على قطيعة فلا يمين له[3]) رواه الترمذي.

المجلس الثاني: أورده الذهبي، وكان من الحاضرين فيه، وذكر في سند الرواية

---

[1]– إبن حجر ، الدرر الكامنة ، ج01 ، ص327 – 328.

[2]– وهو جامع عمرو بن العاصي في الفسطاط ، بناه عمرو بن العاصي ، و هو مسجد فسيح الأرجاء ، و قد عرف بإسم تاج الجوامع ، و جامع العتيق و جامع مصر أنظر ، سيد إسماعيل كاشف و آخرون ، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1993 م ، ص 339 – 45 ، العمر بن فضل الله ، ج01 ، ص 263.

[3]– الترميذي أبو عيسى محمد ، الجامع الصحيح سنن الترميذي ، تح : أحمد محمد شاكر ، دار غحياء التراث العربي ، بيروت ، د–ت ، ج03 ، ص486، البرازلي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 435.

عالما محدثا مالكيا، فقال : " أخبرنا محمد بن محمد القاضي [1]، أنا علي بن هبة الله، أنا السلفي، أنا أبو الخطاب إبن اليطر، أنا أبو محمد البيع، أبو عبد الله المخاملي، أنا يوسف بن موسى أنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم التميمي، عن أبيه ، عن أبي مسعود، قال: إني لأضرب غلاما مالي إذا صوتا من خلفي، أعلم أبا مسعود، فجعلت لا ألتفت إليه من الغضب، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأيته وقع السوط من يدي من هيبته، فقال لي :((والله الله أقدر عليك منك من هذا)) فقلت :يا رسول الله، لا أضرب غلاما لي أبدا [2] .

_2مجالس الفقه والفتوى : ويتم فيها تدريس الفقه و إجابة السائلين أو طالبي الفتوى و تكون على المذهب المالكي، ولابد أن يكون المتصدي لها فقهيا قليعا في المذهب،. و ممن عقد هذه المجالس نذكر الفقيه أبا محمد عبد الكريم بن عطاء الله بن عبد الرحمن الاسكندراني (ت 664هـ/1265م) من فقهاء الإسكندرية، تفقه على المذهب المالكي، وتصدر لتدريسه والإفتاء عليه ببلده [3] الشيخ أبو الحسن علي بن وهب مطيع القشيري، نزيل قوص (667هـ / 1268م) ،" درس وأفتى، وصنف في المذهب، وإنتفع بأهل الصعيد، وكان شيخ تلك الديار [4] "، وكذلك الشيخ أبو نور الدين أبو الحسين علي بن عبد النصير بن علي السخاوي المصري (ت 796 هـ / 1354م) كان عرفا بمذهب الإمام مالك، عالما بما فيه من الغوامض والتفاصيل الدقيقة لدرجة أنه وصف "بمالك مذهب مالك"، وتصدر للإفتاء بدمشق مدة طويلة قبل توليه تدريس الفقه الشيفونية في القاهرة [5].

---

[1]– هو زين الدين أبو القاسم محمد بن محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيق المالكي المصري (ت720هـ /1320م) ، الذهبي ، معجم الشيوخ الكبر ، تح: دج02 ، محمد الحبيب الهيلة ، ط01، مكتبة الصديق الطائفة ، المملكة العربية السعودية ، 1408ه ، 1988م ، ج02 ، ص268 – 269 .

2– نفسه ، ج02 ، ص 268 – 269. [2]

3– الحسيني عزالدين، المصدر السابق، ص406، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص176. [3]

4– البرازلي مشيخة إبن جماعة، ج01، ص434–436، الذهبي، تاريخ اللإسلام، ج49، ص244. [4]

[5]– إبن قاضي شيهة، تاريخ إبن قاضي شيهة، مج03، ج02، ص89، الصقدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله، ت 76ه/1362 ،أعيان العصر و أعوان الشعر ن تح: د. علي ابو الزيد وآخرون ،ط01، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودارالفكر، دمشق ن 1418ه/1998م ، دج03، ص455

وأيضا الشيخ جمال الدين، عبد الله بن مقداد الأفقهسي القاهري (ت 823 ه 1419م) ،تفقه على الشيخ خليل بن إسحاق الجندي، وشرح مختصر الفقه في ثلاث مجلدات، وانتهت إليه رئاسة المذهب والفتوى بمصر[1] .

3- مجالس قراءة المصنفات في العلوم الأخرى:

شاملت مجالس العلم المالكية قراءة المؤلفات وسماعها، إلى جانب مجالس الفقه والإقراء ورواية الحديث، فمن ذلك أن مسند الإسكندرية آنذاك، محي الدين أبا القاسم، عبد الرحمن بن مخلوف بن عبد الرحمن الربعي الإسكندري المالكي (ت 722ه/ 1321م) ، تفرد بأجزاء عالية رواها، و علا إسناده فيها، مثل" الدعاء " للمحاملي[2] وغيره، عرس بعدالته وضبطه[3] ، وممن سمع عليه هذا الكتاب أحد تلاميذه المالكية، وهو عبد الله محمد بن عبد الرحيم ابن علي بن عبد الملك السلمي المعروف بالمسلاتي (ت 771ه / 1369م) وحدث عنه[4] ومجلس اخر بالإسكندرية تم من خلاله تدارس معتق في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث سمع فيه الرحالة خالد البلوي جملة من"تخميس إبن مهيب العشرينيات الفازازي[5] " على شيخ نور الدين أبي الحسن علي بن يونس الهواري المالكي المولود سنة

---

[1]- السخاوي، الضوء اللامع، ج05، ص 71.

[2] - هو القاضي العلامة المحدث الثقة المسند أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل بن محمد البغدادي، المحاملي (ت330ه/941م)،أنظر:ترجمته في: الذهبي، سير الأعلام النبلاء، ج15،ص258-260.

[3]- الصفدي ، أعيان العصر ، ج03 ص45، الذهبي ، معجم الشيوخ الكبر، ج01، ص382.

[4]- الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني المكي ت 832ه /1428م ، ذيل التغيير في رواية السنن و الأسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، ط01 ،دار الكتب العلمية ، بيروتن 1410ه/ 1990م، ج01، ص158 ، ابن رافع تقي الدين محمد بن هجرس السلامي (ت774ه/1374م)، الوفيات، تح: صالح مهدي عباس ود.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402ه، ج02 ، ص360، إبن حجر ، الدرر الكامنة، ج05، ص258.

[5]- كتاب في المدائح النبوية و سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو مخطوط موجود في: مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، خزانة التراث-فهرس مخطوطات، السعودية، كتاب إلكتروني قام إصداره مركز الملك فيصل وهو موجود في المكتبة الشاملة، الرقم التسلسلي82851، رقم الحفظ: 07597-11.

(668هـ/1270 م) بإسناده إلى ناظمه ابن مهيب[1] .
ومن مجالس علماء المالكية خلال حقبة الدراسة لقراءة كتبهم نذكر الشيخ ابا عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبري الفاسي المصري، المعروف بابن الحاج (ت 737هـ/ 1336م) ، فإلى جانب روايته لمطأ الإمام مالك، نجده قد حدث بكتابة الكثير " البدع والحوادث[2] "، وكان أحد الشيوخ المشهورين بالعلاج[3] ، وممن قرأه عليه وأجازه فيه، شمس الدين محمد بن علي بن شكر، البكري، تنزيل مكة[4] ، وهو الذي سنتخصص بدراستنا في مذكرتنا ويتبين مما تقدم ذكره عن مجالس العلم المالكية أنها كثيرة متنوعة، احتضنتها المؤسسات التعليمية من من مساجد ومدارس وغيرها، وقد شملت مختلف العلوم الفقه والحديث والتفسير والأدب وغيرهم، وهذا النشاط من المؤكد انه أعطى دافعا قويا وفعالية كبيره للحركة العلمية عامة وللمذهب المالكي خاصة، حيث فرقت رايته بفعل تلك المجالس في سماء المذاهب المنتشرة في مصر خلال حقبة الدراسة

[1]– البلوي خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، كتاب إلكتروني موجود على المكتبة الشاملة ، ص28، التنيكتي، المصدر السابق،ص326.

[2]– وهو كتاب المعروف ب"مدخل الشرع الشريف على المذاهب" كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها ، أنظر:مقدمة كتاب:إبن الحاج أبو عبدالله محمد بن محمد العيدري الفاسي المالكي ت737ه/1336م، المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة د–ت،ج01،ص02.

[3]– إبن رافع ، المصدر السابق، ج01، ص155.

[4]– الفاسي، المصدر السابق، ج01،ص258.

الفصل الأول :حياة ابن الحاج ومكانته العلمية

المبحث الأول: حياة ابن الحاج

المبحث الثاني: مكانته العلمية

المبحث الثالث: عصره

حفل التاريخ الإسلامي بأعداد كبيرة من العلماء الأفذاذ الذين نشروا العلم والإصلاح في الأوساط والمحافل العلمية ، فأسهموا أسهام فاعلاً في الحضارة الإسلامية ، وأصبحت نتاجاتهم العلمية منا أر يوجه من جاء بعدهم .

ومن أولئك العلماء ، عالم المغرب ابن الحاج العبدري(ت737ه) الذي ارتحل إلى مصر ونظر في أحوالها بعين الرحالة والفقيه ، إذ تحدث عن جوانب دقيقة ومهمة عن المجتمع المصري خلال العصر المملوكي ، شملت جميع جوانبه المختلفة) الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، (وبذلك فان ابن الحاج قد أدى خدمة جليلة للمهتمين بالتاريخ والحضارة حين تعرض لتلك الأحوال التي لم يهتم بها الكثير من المؤرخين

وان ما يميز أسلوبه في عرضه لأحوال المجتمع المصري المختلفة حين جعله مشتبكا مع الواقع الاجتماعي بالتعليق والنقد ، وبهذا يكون قد مزج به بين أسلوب الواعظ الفقيه وبين المنهج الواقعي.

وبهذا استطاع ابن الحاج من وضع اليد على ما كان يعانيه المسلمون في عصره من الابتعاد عن الإسلام في جوانب معينة ، يحاول أن يعيدهم إليها ليصحح إسلامهم في عصر كان المسلمين يعيشونه خلال تلك الفترة الحرجة من التاريخ الإسلامي.

*المبحث الأول:حياة ابن الحاج

***اسمه:** هو محمد بن محمد بن محمد،أبو عبد الله العبدري،الفاسي،المالكي،المعروف بابن الحاج.[1]

***نسبه:** تدل نسبته العبدري على انه من أصل عربي قرشيّ يرجع إلى بني عبد الدار بن قصي بن كلاب.[2]

1- ابن فرحون ، إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري ت 799هـ/1396م ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت – د-ت ، ص328 ابن حجر الدرر الكامنة ،ج05 ، ص 507، حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ت1067هـ/1067م ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مكتبة المثنى ، بغداد ،1941م، ج02، ص1643 سركيس ، يوسف بن أليان بن موسى ت 1351 ه ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مطبعة سركيس ، القاهرة – 1928م، ج01 ، ص70؛ مخلوف ، محمد بن محمد ت 1360هـ/1657 ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ، القاهرة – 1921م ، ص218؛ البغدادي ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني ت 1399 هـ/1989م ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، مطبعة البهية ، استابول – 1951م، ج02، ص 139؛ كحالة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي ت 1408هـ/1987م ، معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – 1957م ، ج 11، ص 284 ؛ الفاسي ، عبد الكريم بن المجذوب ، موسوعة أعلام المغرب ، تح : محمد حجي ، ط01 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – 1996م، ج02، ص 626، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله صفدي ت 764هـ/1362م، الوافي بالوفيات،
تح: الأرناؤوط التركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت،1420هـ/2000م،ج01،ص187، شمس الدين أبو المعني محمد بن عبد الرحمان بن الغزي ت 1167هـ/1753م، ديون الإسلام، تح: سيد كسروي حسن، ط01، ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1990م،ج02،ص 185، أبو بكر محمد زكريا، الشرك القديم و الحديث، الرياض، المملكة العربية السعودية ، 1421هـ/2000م، ج02، ص 1595، أحمد القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس، دار المنصورة، رباط،1973م، ص228، محمد بن أحمد بن علي تقي الدين أبو طيب الملكي الحسني الفاسي ت 832هـ/1428م، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتاب العلمية، بيروت ، ج01، ص 258، المقريزي، السلوك، ج03، ص225.

2- الزبيري ، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله ت 236 هـ/877م ، نسب قريش ، تح : ليفي بروفسنال ، ط03 ، دار المعارف ، القاهرة ، د-ت ، ص250؛ البلاذري احمد يحيى ت 279 هـ/892م ، انساب الأشراف ، تح : سهيل زكار ورياض الزركلي ، ط01، دار الفكر ، بيروت – 1996م ، ج09، ص403 ، ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي ت 456هـ/1064م، جمهرة انساب العرب ، تح : لجنة من العلماء ، ط11 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – 1983م ، ص 125، السمعاني أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور، ت 562ه/1167م ، الأنساب ، تح : عبد الرحمن بن يحيى وآخرون ، 01 ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند – 1992م ، 09، ص183.

ولادته: لم تشر المصادر التاريخية إلى مولد ابن الحاج ، واكتفت بذكر اسمه ولقبه ومكان ولادته ، فضلاً عن شيوخه وتاريخ وفاته ، ويبدو أن مثل هذا الأمر طبيعي ولا يخص ابن الحاج وحسب ، وإنما تسكت المصادر في أحيان كثيرة عن ذكر تفاصيل عن الإعلام ولا سيما في ولادتهم أو طفولتهم ، قبل أن يتبوأ هؤلاء مناصب إدارية وعلمية ، حينذاك تسلط عليهم الأضواء وتكثر فيهم الروايات . ولكن بقدر تعلق الأمر بولادة ابن الحاج يمكننا أن نتلمس تاريخ ولادته من خلال تتبع تاريخ وفاته على وجه التقريب ، فقد اتفقت الروايات التاريخية أن ابن الحاج قد ت وفي سنة(737هـ)[1] وأشارت البعض إلى انه بلغ الثمانين أو جاوزها[2] .

أما عن مكان ولادته[3] فإنه ولد في مدينة فاس[4] ،ونشأ وترعرع بين جناتها[5]،وأخذ عن بعض أعلامها، وإن كان هو لا يذكر عن مشايخه إلا القليل.[6]

---

[1] الذهبي ، ذيل تاريخ الإسلام ، اعتنى به : مازن بن سالم ، دار المغني ، الرياض ، د-ت ، ج 52، ص435، ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص 328، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي ت 804هـ/1401م ، طبقات الأولياء ، تح: نور الدين شريعة ، ط 02 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – 1994م، ص 470 ، ابن القاضي أبي العباس احمد بن محمد المكناسي ت 960هـ/1553م ، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال ، تح : محمد الأحمدي ، ط01 ، مكتبة دار التراث ،القاهرة – 1971م، ج02، ص114 حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 02، ص 1643 . البغدادى ، هدية العارفين، ج02، ص 149

[2] ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج05 ، ص507 الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي ت 1396هـ/1976م ، الأعلام ، ط15 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002م ، ج07، ص35؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج11، ص284 .

[3] ابن فرحون ، الديباج ، ص328، الفاسي ، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، تح: كمال يوسف الحوت ، ط01 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990م ، ج 01 ، ص258، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج05 ، ص507، كحالة ، معجم المؤلفين ، ج03، ص 683 .

[4] فاس : مدينة كبيرة مشهورة ، تقع على البحر ، تعد من اجمل مدن المغرب اختطت سنة 182 على يد ادريس الثاني الذي اتخذها عاصمة الدولة الادريسية بالمغرب . ياقوت الحموي ،مصدر سابق ، ج04 ، ص 230 ، ابن عبد الحق صفي الدين عبد المؤمن بن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي ت 739هـ،/1338م، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ط01 ، دار الجيل ، بيروت –1991م، 03، ص 1014.

[5]–ابن فرحون،الديباج،ص328،الفاسي،ذيل التقييد،ج1،ص268،ابن حجر،الدرر،ج6،ص607، كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص583.

[6] كنون عبد الله، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة ، تقديم : محمد بن عزوز ، ط01 ، دار ابن حزم ، المغرب ، 2010م ، 01 ، ص 440.

وإذا ما عدنا إلى المصادر التي تحدثت عنه ، لم نجد ما يسعفنا في تحديد الملامح الأولى لنشأته وطفولته ومراحل حياته ،فهو نفسه لم يذكر شيئاً من هذا ، فضلا عن أ ن تلامذته لم يدلوا بأية معلومات عنه ، وحتى المصادر التي أوردت ترجمته ، فهي كانت مقتضبة ومقتصرة على معلومات لا تسعفنا برسم صورة واضحة عن حياته كاملة ، ولم يكن الأمر يقتصر على ابن الحاج بل تعداه إلى أسرته فهي الأخرى غابت عنها المعلومات التاريخية واكتنفتها الكثير من الغموض وكل الذي نعلمه من المصادر أنّ ابن الحاج ولد في فاس ، وعاش فيها ردحاً من حياته قبل أن ينتقل عنها.

***كناه وألقابه**

كُني ابن الحاج بـــ أبي عبد الله [1]ولقب بألقاب عدة، ويبدو أن ذلك ارتبط بتنقله، من مكان إلى آخر وانه كان يحمل لقب المكان الذي يحل به ، أو المذهب الذي يذهب به أو القبيلة التي ينتمي إليها من حيث النسب ، فقد تلقب بـــ العبدري نسبة إلى بني عبد الدار.[2]

فهو من بلاد الحجاز ، ويبدو أن شأنه شأن الكثير من رجالات القبائل التي استقرت في أماكن أخرى غير موطنها بفعل عمليات الفتوحات الإسلامية وما أرفقها من عمليات استقرار جديدة في المشرق والمغرب.

[1] السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج01، ص459. حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج02، ص1643 ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج11 ص284 . الفاسي ، موسوعة أعلام المغرب ، ج02، ص626.

[2] ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، د-ت، ص213. السيوطي ، لب اللباب في تحرير الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، د-ت ، ص 174 .

ولقب ابن الحاج بالفاسي، نسبة إلى مدينة[1] فاس، كما لقب بالمغربي، نسبة إلى بلاد المغرب ،[2]وحمل أيضا لقب المالكي ، نسبة إلى الإمام مالك بن انس.[3]صاحب المذهب المعروف. أما لقبه الذي شاع وعرف به أكثر من غيره فهو ابن الحاج،[4]ولا تكاد المصادر تعطينا معلومات مفصلة ودقيقة عن هذا اللقب ، سوى ما أشار

البعض إلى أن في مدينة فاس الكثير من الأسر العلمية التي تعرف ببني الحاج.[5]

***أخلاقه ومزاياه:**

تمتع ابن الحاج بصفات ومزايا خلقية عالية أجمعت عليها المصادر التي ترجمت له فهو عالم جليل ، أشتهر بالخير والزهد والورع والصلاح ، جمع بين

---

[1] – البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي ت 487 هـــ/1994م، المسالك و الممالك، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992م، ج02، ص796، الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ت900هـ ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح :إحسان عباس ، ط02 ، دار السراج ، بيروت , 1980م ، ص 434.

[2] –السمعاني،الأنساب،ج12،ص434. السمعاني، المصدر السابق، ص434.

[3]– المالكي : نسبة إلى الإمام أبو عبد الله مالك بن انس بن أبي عامر الاصبحي ، ولد في المدينة عام90هـ /714م ، إمام دار الهجرة واليه ينسب المذهب المالكي ، توفي سنة 179ه / 795م ، وكل من ينسب إلى مذهبه يقال له مالكي وغالبية أهل المغرب مالكية. السمعاني ، الأنساب ، ج12، ص 46 ؛ ابن خلكان أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الأربيلي ت 681هـ/1282 م ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، ط01 ، دار صادر ، بيروت – 1971م ، ج04 ، ص 135– 137 ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 08، ص 48.

[4]– ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، ص 470 ؛ الفاسي ، ذيل التقييد ، ج01 ، ص258؛ ابن حجر،الدرر الكامنة ، ج05 ، ص507؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج01 ، ص 459

[5] – كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب ، ج01 ، ص 442.

العلم والعمل ، وكان فقيهاً متعبداً ، عارفاً بمذهب مالك ، وهو واحد من مشايخ هذا المذهب المشهورين.[1]

***رحيله إلى مصر**

ليس بين أيدينا من المصادر ما نستدل به على تاريخ مجيء ابن الحاج إلى مصر ، وكل ما أفصحت به تلك المصادر انه قدم إلى مصر وسمع بها الحديث وحدث بها.[2]

وأصبح من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان في مصر وحل محل شيخه أبي محمد بن أبي جمرة [3]الذي توفى سنة 599ه في الهداية والإرشاد[4].

ومن المؤكد أن ابن الحاج دخل مصر وهو عارف بالعلم ، وهذا يعني انه قد تلقى بعضاً من معارفه في المدينة التي ولد فيها ، وهي فاس ، ودرس على يد أعلامها وعلمائها ، ولكن تلك العلوم لم تكن لتلبي ما كان يطمح إليه ، فكانت وجهته مصر التي ازدهرت فيها الحياة الفكرية والعلمية في ذلك العصر نتيجة لاجتماع عوامل عديدة ساعدت على أن تكون مرك از مهما للحركة الفكرية والعلمية.

---

[1] – الذهبي ، ذيل تاريخ الإسلام ، ج52، ص 435 ؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص328؛ ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، ص 27 ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 05، ص 507؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، ج02، ص114 ، مخلوف ، شجرة النور الزكية ، ص218 .

[2]– الذهبي ، ذيل تاريخ الإسلام ، ج52، ص435؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص328؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج05 ، ص507 .

[3]– الشيخ ابو محمد بن أبي جمرة ، ستأتي ترجمته مع شيوخ ابن الحاج ص .

[4]– كنون ، ذكريات ، ج01، ص144 .(انفرد كنون بذكر هذه الرواية التي يقول فيها عن ابن الحاج انه بعد أن ذهب للحج استقر بمصر ولازم شيخه إلى أن توفي سنة 695 هـ ، وحل محله في الوعظ والإرشاد) ، ولم يشر كنون في ذلك إلى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات المهمة.

***وفاته:**

من الواضح إن وفاة ابن الحاج وتاريخها كانت محط اتفاق بين المؤرخين، إذ أجمعت المصادر، إن ابن الحاج توفى بالقاهرة في شهر جمادى الأولى من سنة (737ه)، بعد أن بلغ الثمانين من عمره أو جاوزها وكاد قد كُفي بصره في آخر عمره وأقعد[1] ، ودفن بالقرافة[2].

***المبحث الثاني:مكانته العلمية**

نظرا إلى شحة المعلومات المتوفرة عن حياة ابن الحاج وندرتها ، فقد شكلت المقتطفات اليسيرة التي حوتها مصادر ترجمته ، انطلاقتنا في تكوين صورة ملائمة عن تكوينه العلمي ، فعلى ما يبدو إن اهتمامه وعنايته بطلب العلم كانت منذ وقت مبكر من حياته ، فقد اخذ شيئاً من علومه وثقافته المحلية على علماء بلده ، ذلك إننا لم نجد في كتب الطبقات والت ارجم التي وقفنا عليها ذك أرى إلا واحداً أو اثنين منهم .

ولما كانت الرحلة أهم الوسائل في طلب العلم والاستزادة منه والالتقاء بالعلماء والشيوخ والحصول على العلم من مصادره المختلفة ، فقد أصبحت الرحلة في طلب العلم تقليداً مبكرا في تاريخ علماء المسلمين ، يلجئون إليها بعد استكمال

---

[1]. إبن فرحون، ديباج المذهب ، ص328، الفاسي، ذيل التقييد، ج01،ص258، إبن حجرن الرر الكامنة ، ج05،ص50، حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج02، ص1643، كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص284.

[2]. القرافة: مدفن مشهور في البلاد المصرية كانت لبني غصن بن سيف بن وائل من المعارف ، و القرافة بطن المعافر نزلوها فسميت بهم، تحتل مساحة واسعة إذ تمت من جبل المقطم إلى الفسطاط و هي اليوم مقبرة مزدهرة بالأبنية و المحلات إحدى عجائب الدنيا بما تحتوي من مشهد الأنبياء (عليهم السلام)و لصحابة و التابعين و العلماء و الزهاد و الأولياء ، وبها أبنية جميلة و مواضع واسعة وسوق قائم و هي من أهم منتزهات أهل مصر لا سيما في المواسم. ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج04، ص317، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود ت 682هـ/1283م، أثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر ، بيروت د-ت، ص240، إبن عبد الحق ، مراصد الإطلاع، ج 03، ص1072.

علومهم المحلية ، وليس أدل على ذلك ما حث عليه ديننا الحنيف في طلب العلم منها قوله تعالى **(وَقل رَبِّ زدني علمًا)**.[1]

وفضلاً عن ذلك فان الأحاديث النبوية قد شجعت على الرحلة وحثت على طلب العلم ، منها قوله صلى الله عليه وألـه وسلم(:)من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقه إلى الجنة.[2]

ومنها القول المأثور الذي تناقلته الأجيال في التشجيع على الرحلة في طلب العلم اطلبوا العلم ولو في الصين.[3]

وأصبحت غاية الأمل لكل طالب علم في المغرب والأندلس السفر إلى المشرق للالتقاء بعلمائهم والتزود من علومهم.[4]

وعلى ما يبدو إن ابن الحاج كان واحداً من أولئك الطلبة الذين سعوا إلى تحقيق مآربهم في العلم وتحقق له ما أراد حتى أصبح بعد قدومه إلى مصر واحداً من المعروفين بالأوساط العلمية وأصبح موضع تقدير واحترام أغلب العلماء وقد أثنى عليه الكثير من العلماء وأطلقوا عليه أوصافاً تدل على عظيم تمكنه وعلو منزلته الفقهية.[5]

---

[1]–سورة طه،الآية114.

[2]– ابن حنبل ، أبو عبد الله احمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني ت 241 هـ ، مسند احمد بن حبل ، تح : شعيب الأرناؤوط وأخرون ، ط01 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – 2001م ، ج14 ، ص 66؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 05 ، ص 28

[3]–العجلوني،كشف الخفاء،ج2،ص44.

[4]–ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج1،ص542.

5–ابن فرحون،الديباج،ص328،ابن الملقن،طبقات الأولياء،ص480،ابن القاضي، درةالحجال،ج2، ص114، مخلوف، شجرة النور الزكية، ص218

***مؤلفاته:**

من المؤلفات التي ألفها ابن الحاج وأشارت إليها المصادر التاريخية ما يأتي:

1- كتاب المدخل أو مدخل الشرع الشريف.[1]

2- كتاب البدع.[2]

3- كتاب شموس الأنوار وكنوز الأسرار في علم الحروف وماهيته.[3]

4- بلوغ القصد والمنى في خواص أسماء الله الحسنى.[4]

5- الأزهار الطيبة النثر.[5]

وقد وقع لبس وتداخل لدى المؤلفين عند ذكر مؤلفات ابن الحاج ، فقد نسب صاحب معجم المؤلفين.[6]

كتاب "مدخل الشرع الشريف" على المذاهب الأربعة وعده كتاباً أخر غير المدخل المذكور ، وهذا العنوان ذكره حاجي خليفة.[7]

1-الفاسي،ذيل التقييد،ج1،ص258،ابن حجر،الدرر،ج5، 508،السيوطي،حسن المحاضرة،ج1،ص459،سركيس،معجم المطبوعات،ج1،ص80،البغدادي،هدية العارفين،ج2،ص149،كحالة،معجم المؤلفين،ج11،ص284،حجي،مجموعة أعلام المغرب،ج2،ص626.

2-ابن الملقن،طبقات الأولياء،ص441،حاجي خليفة،كشف الظنون،ج2،ص1243.

3-الرومي،إيضاح المكنون،ج3،ص58،البغدادي،هدية العارفين،ج2،ص149،كحالة،معجم المؤلفين،ج11،ص284.

4-الرومي،ايضاح المكنون،ج3،ص197،كحالة،معجم المؤلفين،ج11،ص284،الزركلي،الاعلام،ج8،ص35.

5-كحالة،معجم المؤلفين،ج11،ص284،انفرد به ولم نعثر عليه في أي مصدر آخر ولا نعرف من أين أتى به.

6-كحالة،ج11،ص284.

7-كشف الظنون،ج2،ص1243.

على انه الكتاب الذي بين أيدينا وليس كتاباً أخر ، وتبعه في ذلك صاحب كتاب الأعلام.[1]

أما كتاب "الأزهار الطيبة" الذي ذكره صاحب كتاب معجم المؤلفين.[2]

وانفرد في نسبته لابن الحاج العبدري ، وعدّه واحدا من كتبه فأنه لم يكن كذلك ، فقد التبس عليه الأمر ووقع عنده الخلط بين اسمي ابن الحاج ، وابن حمدون المعروف بابن الحاج السلمي.[3]

الصاحب الحقيقي لكتاب "الأزهار الطيبة" وليس لابن الحاج الذي نحن بصدد ترجمته.

***كتاب المدخل**

احتل كتاب المدخل مكانة مهمة من بين مؤلفاته،فهو أشهر كتبه وربما كان هو مصدر الشهرة التي اشتهر بها ابن الحاج،لا سيما هذا الكتاب هو الوحيد الذي وصل إلينا،وقد جاء بتسميات مختلفة وهي كالآتي:

1-المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها.[4]

---

[1]-الزر الكلي،ج8،ص35.

2-أبو عبد الله محمد بن الطالب بن حمدون بن الحاج السلمي،الفاسي،قاض ومؤرخ،من فقهاء المالكية،مولده ووفاته بفاس،تولى قضاء فاس ومراكش،من كتبه(الأزهار الطيبة النثر في مبادئ العلوم العشر) و(عقد الدرر والآل في شرفاء بن صوال) و(الاشراف على من بفاس من الأشراف) و(روض البهار)،مخلوف،شجرة النور الزكية ،ص301،الحجوي،الفكر السامي،ج2،ص359،كحالة،معجم المؤلفين،ج2،ص181.

[3]-مخلوف،شجرة النور الزكية،ص218.

[4]-ابن الحاج،محمد بن محمد العبدري،(ت837)،المدخل،دار الفكر،(القاهرة-1989م)،ج1،ص8.

2-المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة.[1]

3-المدخل إلى تتمة الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع المحدثة والعوائق التي انتحلت وبيان شناعتها.[2]

4-مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة.[3]

5-مدخل الشرع الشريف.[4]

6-المدخل.[5]

***الغرض من تأليف الكتاب**

أما فيما يتعلق بغرض المؤلف من تأليفه لكتاب(المدخل)،فقد أفصح ابن الحاج عن هذا الأمر بصراحة،قاطعا المجال أمام أي تأويل آخر،وتحدث عن ذلك في مقدمة الكتاب قائلا:بعد حمد الله الصلاة والسلام على نبيه(صلى الله عليه وسلم):وبعد فأني كنت كثيرا ما اسمع الشيخ العمدة العالم العامل ن ليس له شغل،أن يعلم الناس مقاصدهم في الأعمال،ويقصد إلى التدريس في أعمال النيات ليس إلا،أو كلاما من هذا معناه فإنه ما أتى على كثير من الناس إلا من تضييع النيات،فقد رأني ذكرت بعض ما كان يجري عنده،من بعض الفوائد في ذلك لبعض الإخوان،فطلب أن أجمع له شيئا لكي يعرف تصرفه في نيته وفي عبادته وعلمه وتسببه،فامتنعت من ذلك،خوفا مما ورد في الحديث عنه صلوات الله عليه

---

[1]-ابن فرحون،الديباج المذهب،ص328،(وقد نص على إن المؤلف سماه بذلك)،كحالة،معجم المؤلفين،ج11،ص284.

[2]-حاجي خليفة،كشف الظنون،ج2،ص1243.

[3]-المصدر نفسه،ج2،ص1243،البغدادي،هدية العارفين،ج2،ص149.

[4]-حاجي خليفة،كشف الظنون،ج2،ص1243،الزر الكلي،الأعلام،ج8،ص35.

[5]-ابن الحاج،المدخل،ج1،ص2.

وسلامه،في القوم الذين يمضغون ألسنتهم يوم القيامة،إنهم العلماء الذين لا يعملون بما يعلمون،ومن قوله عليه الصلاة والسلام(أول ما تسعر النار يوم القيامة،برجل عالم فتندلق خلفه،فيدور كما يدور المحار برحاه،فيجتمع إليه أهل النار فيقولون له يا هذا ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟فيقول:كنت أمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتيه".[1]

وبعد أن يولي ابن الحاج هذه المسألة قدرا من التفصيل يوضح سر تردده في الكتابة،فيقول:والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا،فامتنعت أن أتكلم بشيء لم يحتو عليه عمل،فأقع فيما تقدم ذكره،لكن عارضتني أحاديث أخرى،لم يمكنني الامتناع لأجلها،لأن ترك العمل معصية،وترك تبليغ العلم معصية أخرى،سيما إذا طلب مني،فارتكاب معصية واحدة أخف بالمرء من ارتكاب معصيتين بالضرورة والقطيعة...."[2]

وقد عكف ابن الحاج على جمع مادة كتابه،وخلال هذه المدة كانت تراوده بعض الشكوك حول نفسه بعدم أهليته لذلك،وقد حدث له قصته في ذلك فلندعه يتكلم عنها فيقول:لما بلغت فيه إلى الكراس الثاني عشر منه حصل قلق وانزعاج في أخذ العلم ولست عند نفسي أهلا لذلك.[3]

1-البخاري،أبو عبد الله محمد بن سماعيل بن المغيرة الجعفي،(ت258ه)،صحيح البخاري،تح:محمد زهير بن ناصر،ط1،دار طوق النجاة،(بيروت-1422ه)،ج4،ص121.

2-ابن الحاج،المدخل،ج1،ص2.

3-المصدر نفسه،ج4،ص308.

لذلك حاول ابن الحاج أن يخرج مما يمر به،وهو التخلص مما كتبه،فيقول:فعزمت على أن أعدم الكراريس،فأخذتها وشددت عليها ودفعتها لبعض الإخوان،وقلت له يثقلها بحجر،ويلقيها في البحر.[1] ثم جاء الفقيه الخطيب،[2]

أبو عبد الله محمد بن عبد المعطي المعروف بابن سبع،خطيب جامع الظاهر بالحسينية،فطلب الكراريس،فأخبرته بما جرى،فشق عليه،وقالي لي:أسأل عنها فلعله أن يكون لم يفعل ما أمرته به إلى الآن،فقلت له:إن له مدة،فقال،ولعل أن تكون قد بقيت،فسألت الشخص الذي أمرته بتفريقها،فقال لي،هي باقية إلى الآن،فسألته عن موجب تركه لها،فأخبر أنه وضعها في موضع في بيته حتى يتفرغ فيلقيها في البحر،قال:فعزمت على ذلك مرارا،ثم إني أنسى،وهي إلى الآن عندي لم أغرقها بعد،فطلبتها منه وأخذتها ودفعتها إلى الفقيه الخطيب المذكور،فطالعها،ثم أتاني بها فقال لي:يحرم ليك إتلافها وحضني على إتمامها،وسألني مرارا أعين اسمه فيها،وإنه كان داخلا في جملة من أعان عليها لكي يدعى له لكونه كان السبب في إتمامها".[3]

لذلك يمكن القول أن الغرض من التأليف،إجابة لطلب شيخه أبي عبد الله بن أبي حمزة،كما ذكر ذلك هو وبين أن فكرة الكتاب تعود إليه وعلى ما يبدو إنها كانت تهدف في حقيقتها إلى إيجاد مجتمع صالح يكون الإنسان في عمله وكأنه في عبادة لا تنقطع بما يحتسب من النيات التي يكتسب بها الأجر والثواب.

---

[1]–المصدر نفسه،ج4،ص408.

2–هو محمد بن عبد المعطي بن سالم بن عبد العظيم،أبو عبد الله،عرف بابن سبع،ولد بمصر سنة تسع وسبعين وستمائة،وسمع وتفقه على مجموعة من العلماء منهم قاضي القضاة السروجي وغيره،خطيب الجامع الظاهر بالحسينية توفي سنة خمس وستين وسبعمائة،أبي الوفاء،أبو محمد عبد القادر بن محمد القرشي(ت885)،الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية،تحقيق:مير محمد(كراتشي–د.ت)،ص85،الفاسي،ذيل التقييد،ج1،ص125.

[3]–ابن الحاج ،المدخل:ج4،ص308.

كما أراد المؤلف في جعل النيات أن تكون الدافع للإنسان نحو بني جنسه في الإخلاص بالنصح لهم والعمل على تيسير مصالحهم،بعدما رأى أن المجتمع بحاجة إلى التوجيه السليم في ظل تداعيات الخطيرة التي دبت في مفاصل الحياة،والمشاهد التي كان يراها في تعاملات الناس اليومية،والتي أصبحت عبارة عن عادات اعتاد الناس على ممارستها،والبعض الآخر من الناس انطوى على العديد من البدع والانحرافات فكان لابد من العمل على مواجهتها وتنبيه المجتمع من أجل الوقوف ضدها وتقديم الحلول لهم.

***وصف الكتاب**

يعد كتاب المدخل واحدا من الكتب الفقهية الشاملة التي وصلتنا لابن الحاج،فهو كتاب فريد في تصنيفه،إذ حظي بثناء العلماء،يقول ابن حجر:"كثير الفوائد كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها،وأكثرها مما ينكر وبعضها مما يحتمل".[1]

وقال ابن فرحون"وهو كتاب حفيل جمع فيه علما غزيرا والاهتمام بالوقوف عليه متعين،لذا أصبح لزاما علينا أن نشير إلى المادة العلمية التي تألف منها الكتاب للوقوف على حقيقة ما يحتويه هذا المؤلف من المعلومات.

كان ابن الحاج موفقا في اختيار عنوان لكتابه(المدخل)،فالعنوان يعبر تعبيرا صادقا عن المادة التي احتواها الكتاب،ووصفه الدقيق للحياة العامة في مصر بنواحيها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية،ونلقه للمخالفات التي كانت شائعة في عصره سواء كانت شرعية أو اجتماعية أو تربوية وتشخصيها وتسليط الضوء عليها وتقديم توجيهات وإرشادات رائعة ولمس جوانب دقيقة جدا.

[1]-ابن حجر ،الدرر،ج5،ص508.

يتألف الكتاب من أربعة أجزاء بحسب طبعة دار الفكر (القاهرة-1981م)،يقع الجزء الأول منها في313 صفحة.[1]

يبدأ من ترجمة المؤلف ومقدمة الكتاب وأسباب تأليفه،ويكون في(80)فصلا،يدور كل منها حول مسألة فقهية بعينها.

أما الجزء الثاني منه،[2]

فيقع في(331) صفحة،ويتوزع على(108)فصول،يدور كل فصل منها حول مسألة ن المسائل أو أكثر،وهو على نفس نظام الجزء الأول من الكتاب.

أما الجزء الثالث منه،[3]

فأنه يتوزع كالجزأين السابقين على فصول،يقع في(300) صفحة،ويكون في(93) فصلا يدور كل فصل منها على مسألة من المسائل الفقهية.

ثم يأتي الجزء الرابع والأخير من الكتاب،[4]

وهو يقه في(311) صفحة،ويدور هو الأخر على(81) مسألة من المسائل،وخاتمة.[5]

قدم ابن الحاج تلك المسائل بناء على موضوعات،وضم بعضها إلى بعض مما جعل الفكرة أكثر اكتمالا،ثم قام بمناقشة الأفكار ودعمها بشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية،أو من آراء العلماء القدماء والمعاصرين إن وجد بيان الحاجة

---

[1]-ابن الحاج،المدخل،ج1،ص2-313.

[2]-ابن الحاج،المدخل،ج2،ص1-331.

[3]-المصدر نفسه،ج3،ص1-300.

[4]-المصدر نفسه،ج3،ص308.

[5]-حاجي خليفة،كشف الظنون،ج2،ص1243.

إليها،فضلا عما استطاع إليه من الوقوف على أحوال المسلمين في عصره،حيث عرض في أثناء كتابه الأحوال الاجتماعية والاقتصادية التي يهتم بها الكثير من المؤرخين وهو بذلك يكون أدى خدمة جليلة للمهتمين بالتاريخ والحضارة،كما أدى خدمة أخرى في البحث الفقهي حيث جعله مشتبكا مع الواقع الاجتماعي بالتعليق والنقد والاحتجاج.

وبقي أن أشير إلى أن ابن الحاج كان قد فرغ من تأليف كتابه في السابع من محرم سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة،[1]

أي قبل وفاته بخمسة أعوام وأشهر.

***تلاميذه:**

تتلمذ على يد ابن الحاج نخبة من التلاميذ اخذوا من علمه وسمعوا منه ، واشتهروا بعد ذلك بما أخذوه من هذا العالم الجليل وهم:

- خليل بن إسحاق بن موسى المالكي ، المعروف بالجندي،[2]

كان يسمى محمداً ، ويلقب بضياء الدين ، تعلم بالقاهرة وكان ممن جمع العلم والعمل والزهد والتقشف ، وتفقه بفقه المالكية ، وولي الإفتاء على مذهب مالك ، وشرع في الاشتغال به ، وهو من أهل مصر ، كان أبوه حنفياً ، لكنه كان يلازم شيخه أبا عبد الله بن الحاج ، له مصنفات عديدة منها ،المختصر، وهو من كتبه

[1]-حاجي خليفة،كشف الظنون،ج2،ص1243.

[2]-لأنه كان يلبس زي الجندية،ابن حجر،الدرر،ج2،ص208.

المشهورة ، وشرح مختصر ابن الحاجب في تسعة مجلدات ،ومناسك الحج ، توفي بالقاهرة في شهر ربيع الأول سنة775.[1]

– عفيف الدين عبد الله بن محمد بن احمد بن خلف المطري ، الخز رجي ، ألعبادي ، ولد بالمدينة سنة 598هـ ، كان حافظاً للحديث ، ومؤرخاً ، وأصبح رئيس المؤذنين في الحرم النبوي ، رحل إلى مكة ، ومصر والشام والعراق في طلب الحديث ، ويذكر أنه من ذرية سعد بن عبادة الأنصاري ، توفي بالمدينة ، سنة 756هـ وله من المؤلفات الإعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام.[2]

– عبد الله بن محمد بن سليمان المنوفي،[3]

عالم عمل على الإصلاح ، تفقه على مذهب مالك ، واعتزل وانقطع بالمدرسة الصالحية.[4]

لا يكاد يخرج منها إلا للصلاة ، ولد سنة585 هـ ، وتوفي في رمضان سنة749ه شهد جنازته خلق كثير.[5]

–شمس الدين محمد بن علي بن ضرغام بن عبد الكافي بن سكر ، الحنفي ، المصري ، نزيل مكة ، ولد سنة 718هـ وطلب الحديث والقراءات ، وسمع ما لا يحصى ممن لا يحصى ، وجمع شيئاً كثيرا ، وذكر إن سبب كثرة مروياته وشيوخه ، انه كان إذا قدم الركب مكة طاف على الناس في رحالهم ومنازلهم ،

---

[1]–ابن حجر،الدرر،ج2،ص208،السيوطي،حسن المحاضرة،ج1،ص340،الزر كلي،الأعلام،ج2،ص315.

2–السبكي،معجم الشيوخ،ص208،الدرر،ج3،ص25،الأصفوني،لحظ الألحاظ،ص97،السيوطي،طبقات الحفاظ،ص535،الزركلي،الأعلام،ج4،ص128.

[3]–نسبته إلى المنوفية،وهي من قرى مصر القديمة،ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج5،ص213.

4–المدرسة الصالحية،وتنسب إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل،شرع في بنائها سنة(639ه–1643م) في مكان قصر الفاطميين الشرقي،حيث وقفها على المذاهب الأربعة،المقريزي،المواعظ والاعتبار،ج4،ص218،السيوطي،حسن المحاضرة،ج2،ص263،النعيمي،الدارس في تاريخ المدارس،ص239.

[5]–السيوطي،حسن المحاضرة،ج1،ص525،مخلوف،شجرة النور الزكية،ص218.

سأل من له رواية أو حظ من علم فيأخذ عنه ، ما استطاع ، وله كتب كثيرة ما لا تحصى في الحديث والفقه والأصول والنحو وغيرها ، وله إجازة من ابن الحاج.[1]

***شيوخه:**

من الملاحظ إن ابن الحاج كان قد استقى علومه من مجموعة خيرة من العلماء والفقهاء ، فكانوا المعين الذي أضاف إليه الكثير، ولهم اليد الطول في سيرته العلمية ، وان كان ابن الحاج لا يذكر ما اخذ عنهم ، ولكن لابد من الإشارة إلى إن أولئك ليسوا متساوين في درجة اعتماد ابن الحاج عليهم ، كما إن المعلومات الواردة إلينا من شيوخه قليلة سواء الذين كانوا في مدينة فاس أو الذين أخذ عنهم في مصر ، وتم الاعتماد على المصادر في التعرف عليهم والترجمة لهم ، وسنتعرف عليهم مرتبين بحسب حروف الهجاء وهم :

- أبو إسحاق إبراهيم بن مخلف بن عبد السلام،المطماطي[2]

من أهل تلمسان وكان فاضلاً في العلم والدين،[3]

وأصبح رئيس التدريس والفتوى في بلاد المغرب ، توفي في مدينة تلمسان ، ومن تصنيفه "شرح التلقين" لعبد الوهاب في عشرة أسفار.[4]

وعلى الرغم من إن ابن الحاج لم يفصح لنا عمّا ما أخذه من علم عن شيخه أبي إسحاق أو الطريقة التي كان يدرس بها ، إلا انه يمكن القول عنه بأنه احد

---

[1]–الفاسي،ذيل التقييد،ج1،ص285،ابن حجر،أنباء الغمر،ج4،ص85،ابن العماد،شذرات الذهب،ج9،ص23–24.

[2]–مخلوف،شجرة النور الزكية،ص218.

3–المطماطي نسبة إلى جبال مطماطة،وهي موضع في بلاد المغرب،الزبيدي،تاج العروس،ج20،ص110،الكتاني،فهرس،ج2، ص1099.

[4]– كحالة ، معجم المؤلفين ، ج1،ص218.

الشيوخ الذين اخذ عنهم العلم في بلاد المغرب وكان ابن الحاج ملازماً له كما روى في ذلك عن مشاهداته عنه.

– الحافظ تقي الدين ، عبيد بن عباس ، أبو القاسم الاسعردي،[1]

الإمام المحدث الحافظ ، كان ثقة صالحاً ، برع في علم التخريج وأسماء الرجال ، ولد بأسعرد[2]

سنة522ه،وتحول إلى مصر مع والده ، فسمع من الكثيرين ، ويقال أن ابن الحاج سمع منه الموطأ، له كتب كثيرة منها مشيخة القاضي أبن الجوزي و السر المصون فيما يقال عند فتح

الحصون ، توفي بالقاهرة سنة اثنتين وتسعين وستمائة.[3]

–أبو محمد ، عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الازدي ، الأندلسي ، المالكي ، احد علماء الحديث ، كان قوالاً أمرا بالمعروف ، ولا ندري أين لقيه ابن الحاج أول مرة ، وإنما نتعرف على انهما تصاحبا في مصر زمناً طويلاً ، وكان أول ما جاء للقراءة عليه فقال له ابن أبي جمرة ، أما تق أر على العلماء ، فقال له ابن الحاج ، أريد أن اقرأ عليك ، فقال له ابن أبي جمرة ، كيف تترك العلماء وتأتي تق أر على مثلي ، فقال له ابن الحاج ، أريد أن اقرأ عليك ، فقال له ، استخر الله تعالى ، فاستخرت الله تعالى ، ثم جئت إليه فقلت ، اقرأ ، فقال ، عزمت ، فقلت نعم ، فقال لي لا يخطر بخاطرك ولا يمر ببالك انك تق أر على عالم ، ولا انك بين يدي شيخ ، إنما نحن إخوان مجتمعون نتذاكر شيئاً من أحكام

[1]–الذهبي،تذكرة الحفاظ،ج4،ص178،ابن حجر،الدرر،ج6،ص60،أين الملقن،طبقات الأولياء،ص470.

[2]–أسعرد،قرية بالشام،الزبيدي،تاج العروس،ج8،ص205.

[3]–الذهبي،تذكرة الحفاظ،ج4،ص178،السيوطي،طبقات الحفاظ،ص614،حاجي خليفة،كشف الظنون،ج2،ص989.

الله تعالى علينا ، وهذا الكلام يدل على تواضع ابن أبي جمرة ، ويدل على حُسن نظر ابن الحاج في اختيار الشيخ الذي يتتلمذ له ، وقد لازمه أبن الحاج مدة طويلة فعادت عليه بركاته وانتفع به ، له تصنيف كثيرة منها جمع النهاية ويعرف بمختصر ابن أبي جمرة ، وبهجة النفوس وألم أرى الحسان في الحديث والرؤيا ، توفي بمصر سنة 596ه-1295م، ودفن بالقرافة.[1]

-أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن عبد الملك المرجاني ، صوفي ، أصله من تونس

أحد المشايخ المشهورين بالعلم والعمل ، وكان له علم بالتفسير وبقية العلوم والمعارف ، له من الكتب) الفتوحات الربانية في المواعيد المرجانية و بهجة الشموس والأسرار في تاريخ هجرة المختار ، توفي بتونس سنة تسع وتسعين وستمائة،[2]

وهو من الشيوخ الذين كان لهم الأثر في حياة ابن الحاج ، فقد كانت رحلتهما إلى المشرق معاً

وفي مركب واحد كما أفصح بذلك ابن الحاج من الحكاية التي ذكرها في المدخل ، ولم يذكر مع الأسف تاريخ هذه الرحلة على عادته في جميع الإحداث التي يستعرض لها.[3]

-أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن علي الحسني

---

[1]-ابن كثير،البداية والنهاية،ج14،ص92.

2-اليافعي مرآة الجنان،ج4،ص174،ابن العماد،شذرات الذهب،ج7،ص787،الزركلي،الأعلام،ج4،ص126،البغدادي،هدية العارفين،ج1،ص453

[3]-ابن الحاج،المدخل،ج4،ص67.

الفاسي ، ولد بفاس ونزل مكة وسمع بها ومن المدينة وحدث ببعض مروياته ، جمع العلم والعمل ، وكان عالماً بالقراءات ، وكان يصاحب الفقراء ، أصيب بمرض وعلى أثره انتقل إلى مصر وبها توفى ، وعلى الرغم من أن ابن الحاج لم يفصح عمّا ما سمعه منه أو طريقة لقائه به إلا أننا نستنتج من وجودهما في مصر أنهما التقيا ، خصوصاً إذا ما علمنا أن الشيخ أبا عبد الله الحسني الفاسي قدم إلى مصر من أجل العلاج ، وكان يحدث ببعض مروياته فيكون ابن الحاج قد سمع منه توفي بمصر في الثامن والعشرين من صفر سنة719ه،ودفن بالقرافة.[1]

***المبحث الثالث:عصره**

عاش ابن الحاج في عصر دولة المماليك البحرية(648-784ه/1250-1382م)،ومما لا شك فيه أن ظروف هذا العصر وتداعياته قد أثرت سلبا أو إيجابا في حياته،هذا إذا ما استثنينا حياته المبكرة في بلده الأم(المغرب الأقصى) لأننا لم نعثر في المصادر التي بين أيدينا على ما يفيد لتكوين صورة تلك المدة المبكرة من حياته،ومما لا شك فيه أن تلك المدة لم تكن لتخلو من جوانب مهمة كان لها أثر في تكوين وصقل شخصيته العلمية.

عاش ابن الحاج في النصف الثاني من القرن السابع والنصف الأول من القرن الثامن الهجريين،وهذا يدل على أنه عاصر وشاهد الكثير من الأحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية الحرجة في تاريخ العالم الإسلامي في تلك المدة،إذ أن البلاد الإسلامية كانت قد تعرضت قبل ذلك إلى العدوان الصليبي والاجتياح المغولي،فضلا عما اشتملت عليه من ترد للأوضاع الداخلي

[1]-ابن الحاج،المدخل،ج3،ص141،الفاسي،ذيل التقييد،ج1،ص230،الزر كلي،ج5،ص85.

المتمثلة بالصراع على السلطة بين الممالك والانحدار في المستوى الاقتصادي والمعيشي.

رحل ابن الحاج إلى مصر واستقر فيها سنة(699ه/1300م) أيام حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون[1]، يبدو أنه لم يكن مهتما أو معنيا بأحوال مجتمعه خلال الفترة المبكرة من حياته،فقد اقتصر على تكوين نفسه من خلال التعلم والتثقف والتزود بالعلوم على بعض المشايخ هناك،ولما جاء إلى مصر كان قد قطع شوطا بعيدا ومهما في مضمار العلم،وعلى هذا فإنه قد اكتسب شهرة جيدة دفعته إلى انتقاد العادات والتقاليد التي كان عليها المجتمع في مصر أيام المماليك،فكان ينظر إليها من وجهة نظر الفقيه والمصلح الاجتماعي لا المؤرخ.

لذا سيقتصر الحديث هنا عن الحياة العامة في مصر خلال عصر دولة المماليك البحرية(العصر المملوكي الأول)،والذي يمكن أنه نعده عصر ابن الحاج،لما له من أثر في توجيه حياته من خلال الإطلاع على الجوانب المختلفة للمجتمع المصري الذي عاش في وسطه إلى أن وافته المنية.

1-الملك الناصر محمد بن قلاوون،هو ناصر الدين محمد ابن السلطان المنصور سيف الدين قلاوون،ولد بالقاهرة سنة(684ه/1285م)،وتولى عرش السلطنة ثلاث مرات،بعد مقتل أخيه الأشرف خليل،وكان عمره تسع سنين،وهي الأولى من(693ه-694ه/1294-1295م)،والثالثة وهي أطول مدد حكمه(709 حتى وفاته741ه/1310-1341م)،لذا يعد الملك الناصر محمد من أبرز سلاطين الأسرة القلاوونية والدولة المملوكية عامة،وشهدت مصر في عصره نهضة حضارية،قاد العديد من الحروب ضد الصليبيين والمغول،الكتبي،محمد بن شاكر (ت764ه)،فوات الوفيات،تحقيق:إحسان عباس،ط1،دار صادر،(بيروت1974م)،ج4،ص35،المفريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك،تحقيق:محمد عبد القادر،ط1،دار الكتب العلمية،(بيروت-1998م)،ج2،ص189-307،ابن تغردي بردي،مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة،تحقيق:نبيل محمد،دار الكتب المصرية،(القاهرة-د.ت)،ج2،ص45،النجوم الزاهرة،ج8،ص41،الزركلي،الأعلام،ج8،ص11

***الحياة السياسية:**

عاش ابن الحاج بحسب ما تم مقارنته بين الروايات للمدة بين عامي(675-737ه)،[1]

قضى بعضا منها في بلده الأم(بلاد المغرب الأقصى)،والبعض الآخر في مصر حتى وفاته فيها،ففي بلاد المغرب كانت الدولة المرينية هناك،[2]

فيكون ابن الحاج معاصرا لها طوال المدة التي سبقت مجيئه مصر،أما من ناحية حكامها،فقد عاصر اثنين من سلاطينها،هما يعقوب بن عبد الحق ومدة حكمه ثلاثون سنة(656-685ه/1258م-1286م)،[3] وابنه يوسف بن يعقوب ومدة حكمه

---

[1]-ابن حجر،الدرر،ج5،ص507.

2-الدولة المرينية(668ه-869ه/1270-1465م):سبب تسميتهم بالمرينيين نسبة إلى جدهم مرين،من قبيلة زناته،والتي تفرعت عنها شعوب كثيرة،استطاع المرينيون بقيادة الأمير يعقوب بن عبد الحق من تأسيس دولتهم بعد ضعف سلطة الموحدين،الأمر الذي دفع ولاة الأقاليم إلى الاستقلال بولايتهم كبني مرين بالمغرب الأقصى بفاس،وبعد القضاء على الموحدين ودخول الأمير يعقوب إلى مراكش وسيطرته عليها سنة(668ه-1269م)،أعلن عن قيام الدولة المرينية وعاصمتها فاس،النويري،شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري(ت833ه)،نهاية الإرب في فنون الأدب،ط1،دار الكتب والوثائق القومية،(القاهرة،2003م)،ج23،ص348،ابن أبي زرع،أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت841ه)،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،دار المنصور،(الرباط-1982م)،ص289،الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،دار المنصور،(الرباط-1982م)،ص15،المقري،شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(1041ه)،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق:إحسان عباس،ط1،دار صادرن(بيروت-1998م)،ج4،ص385.

3-يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة المريني الزناتي(607-685ه/1210-1286م)،السلطان المنصور،كان أميرا لبلاد تازا وبطوية وملوية(في المغرب الأقصى) في عهد أخيه أبي بكر،وبعد وفاة أخيه ذهب إلى فاس فبايعه الناس،كان مجاهدا عمل على طرد الاسبانيول من مدينة سلار وقاد(3000)ألاف فارس من بني مرين للجهاد في الأندلس،كما قاتل الموحدين فهزمهم،وقام بالكثير من الغزوات،بني المدارس والمارستانات ووقف عليها الأوقاف،توفي بالأندلس ودفن برباط الفتح،السلاوي،شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري(ت1315م)،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،تحقيق:جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب،(بيروت-د.ت)،ج2،ص248-278،الزر كلي،الأعلام،ج8،ص199.

إحدى وعشرون سنة(685-706ه/1276م-1306م).[1] أما في مصر فيكون قد عاصر دولة المماليك البحرية،[2]

حيث قسم المؤرخون دول الممالك(648-923ه/1250-1517م)،إلى قسمين،بحري،وهي التي حكم سلاطينها البلاد من عام(648ه-784)،أما القسم الثاني،فهم المماليك الجراكسة(البرجية) وقد حكموا البلاد للمدة(784-923ه/1382-1517م).

ولما كنا بصدد الكلام عن دولة المماليك البحرية،لابد من الإشارة إلى أن فكرة الاستعانة بالمماليك لم تكن سابقة تاريخية في هذا العصر وإنما سبقت الاستعانة بهم،منذ عهود،كما استخدمهم الخليفة العباسي المأمون(198-218ه/813-883م).[3]

1-يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني الزناتي(607-685ه/1210-1286م)،الناصر لدين الله،أبو يعقوب،كان وليا للعهد من سنة(671ه/1272م)،عمل على القضاء على الخارجين عن دولة أبيه واستطاع أن يخضع العديد من مدن المغرب لسيطرته،كان مهتما بالعلم والجهاد،بويع له سنة(685ه-1286م)،وتوفى سنة(706ه-1306م)النويري،نهاية الأرب،ج32،ص90،ابن أبي زرع،الأنيس المطرب،ص384،ابن حجر،الدرر،ج2،ص255.

2-المقريزي،الخطط،ج3،ص404،ابت تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج8،ص10-42،الجبرتي،عبد الرحمان بن حسن(ت1238ه)،تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار،دار الجيل،(بيروت-د.ت)،ج1،ص28.

3-المماليك:كلمة المماليك،جمع مملوك،والمملوك:العبد وهو الرقيق الذي يباع ويشترى،ويطلق اسم المماليك اصطلاحا على أولئك الرقيق الذين يجلبون من أقطار مختلفة،وقد كسب المماليك هذه التسمية أو صفة العبودية عن طريق الشراء أو الأسر،وهم خليط من الأتراك والروم الأوربيين والشراكسة،جلبهم الحكام من أواسط أسيا والقفقاس،ليستعينوا بهم في الحكم،الرازي،زين الدين،أبو عبد الله محمد بن أبي عبد القادر الحنفي(ت222ه)،مختار الصحاح،تح:يوسف الشيخ محمد،ط5،الدار النموذجية،المكتبة العصرية،(بيروت-1999م)،ص298،ابن منظور،محمد بن مكرم علي بن أحمد بن حقبة الأنصاري الإفريقي (ت811ه)،لسان العرب،ط3،دار صادر،(بيروت-1994م)،ج3،ص280/ج10،ص183،الذهبي،سير الأعلام،ج23،ص192،ماجد،عبد المنعم،نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر،ط2،مكتبة الأنجلو المصرية،(مصر-1989م)،ج1،ص10

وبعده الخليفة المعتصم(218-227ه/833-843م)،[1]

أعداد كبيرة منهم ووضعوهم في جيوشهم لتعزيز مكانتهم،لا سيما وأنهم يدينون لهم بالولاء،فضلا به من صفات جسمية وخلقية،تؤهلهم لأن يعتمد عليهم في الجيش.

ولم يكن الأمر ليتوقف عند الخلفاء العباسيين،فقد استخدمهم الطولونيون،[2]

والإخشيديون،[3]

والفاطميون،[4]

والأيوبيون،[5]

1-ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت884ه)،البداية والنهاية،تحقيق علي شيري،ط1،دار إحياء التراث العربي،(بيروت-1988م)،ج10،ص297،ابن تغري،بردي،النجوم الزاهرة،ج2،ص234،السيوطي،تاريخ الخلفاء،تحقيق:حمدي الدمرداش،ط1،مكتبة نزار مصطفى الباز،(د.م-2004م)،ص244.

2-المقريزي،الخطط،ج1،ص188،العبادي،قيام دولة المماليك الأولى،ص22.

3-المقريزي،الخطط،ج2،ص149،ابن تغري بردي النجوم الزاهرة،ج3،ص256،السيوطي،تاريخ الخلفاء،ج1،ص287.

4-المقريزي،الخطط،ج3،ص22،العبادي،قيام دولة المماليك،ص68-69.

5-المقريزي،الخطط،ج1،ص186.

وبهذا يكون ابن الحاج قد عاصر اثنين من السلاطين المماليك،كان للسلطان الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون نصيبا وأقرأ منها،إذ تولى خلال هذه المدة من حياة ابن الحاج الحكم مرتين،أما الحاكم الآخر فهو السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير(708-709ه/1308-1310م).[1]

امتازت الحياة السياسية في مصر خلال عصر السلاطين البحرية بنوع من الاستقرار انعكس على الحياة العامة بنوع من الازدهار،ومن المؤكد إن هذا الازدهار وذلك الاستقرار كان قد نهل منه ابن الحاج ليوفر له مناخا للانصراف إلى الدراسة والعلم والتنعم بذلك،ولكن المصادر لا تشير إلى أن ابن الحاج له اهتمام لا من بعيد ولا من قريب في أمور السياسة أو الميل لها.

***الحياة العلمية:**

تضافرت عوامل عديدة أدت إلى تنشيط الحياة العلمية في مصر خلال العصر المملوكي ومن ذلك مثلا،رعاية السلاطين للعلم،وكثرة موارد الإنفاق على التعليم وفضلا عن كثرة انتشار دور العلم من المساجد،والكتاتيب،[2]

1-الملك المظفر بيبرس الثاني الجاشنكير،وهو ركن الدين أبو الفتوح،شركسي الأصل،وكان من مماليك المنصور قلاوون وإليه ينسب المنصوري،أصبح له شأن في عهده حتى صار من كبار الأمراء في أيام الأشرف خليل بن قلاوون،وبعد أن ترك الناصر محمد بن قلاوون السلطة،أصبح بيبرس سلطانا بعد أن ألح عليه القواد مخافة الفتنة سنة(708/1308م)،الصفدي،صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله(ت824ه)،الوافي بالوفيات،تحقيق:أحمد الأرناوط وتركي مصطفى،دار إحياء التراث،(بيروت-2000م)،ج10،ص218،ابن حجر،الدرر،ج2،ص41،ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج8،ص232،الزر كلي،الأعلام،ج2،ص89.

2-الكتاتيب:موضع تعليم الكتاب وهي جمع كتاب،وهي مدارس صغيرة لتحفيظ القرآن الكريم وتعلين الكتابة بصورة بسيطة،ابن منظور،لسان العرب،ج1،ص299،الفاسي،شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام،ط1،دار الكتب العلمية،(بيروت-2000م)،ج2،علي،جواد،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ط4،دار الساقي،(بيروت-2001م)،ج15،ص291.

والمدارس النظامية ودور العلماء والأربطة،[1]

والخانقاوات،[2]

والرحلات العلمية ورحلات الحج،ولا شك إن الحركة العلمية لا يمكن لها أن تبتعد عن الأوضاع السياسية التي وقعت على العالم الإسلامي إذ كانت واقعة في شرقها وغربها تحت ضغط الزحفين المغولي والصليبي،والتي انتهت بسقوط الخلافة العباسية سنة(656ه/1258م) على أيدي المغول،[3]

والقضاء على حاضرتها بغداد.والمستعصم بالله.[4]

1-الأربطة:جمع رباط،والربط والمرابطة،ملازمة ثغر العدو،ومن ثم أطلق لقب رباط على البناء المحصن الذي يقوم قريبا من الحدود ويرابط به جماعة من المجاهدين لمهاجمة الأعداء ودفع خطرهم،ثم أصبح الربط مآوى يلجأ إليه العلماء والرحالة وطلاب العلم وبخاصة في مجال التصوف،ابن منظور،لسان العرب،ج8،ص302،المقريزي،الخطط،ج4،ص302،عاشور،سعيد عبد الفتاح،المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك،ط1،دار النهضة العربية،(القاهرة-1976م)،ص178.

2-الخانقات:جمع خانقاه وتجمع أيضا على خوانق،وهي كلمة فارسية تعني البيت،وقيل أصلها خونقاه،أي الموضع الذي يأكل فيه الملك،وجعلت فيما بعد أماكن للصوفية للتزهد والعبادة،والظاهر إن الرباط والخانقات اسمان لمعنى واحد كما ذكر ابن الحاج إن الرباط هو المسمى في عرف العجم خانقات،ابن الحاج،المدخل،ج4،المقريزي،الخطط،ص208،عاشور،المجتمع المصري،ص178

3-ابن كثير،البداية،ج14،ص186،ابن خلدون،تاريخ،ج8،ص149.

4-المستعصم بالله،أبو عبد الله بن منصور بن محمد بن أحمد بن الحسن بن المنتصر بالله،العباسي،البغدادي،آخر خلفاء بني العباس في بغداد،ولد سنة(209ه)،بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه المستنصر بالله سنة(659ه/1250م)،ودخل المغول بغداد على عهده واستولوا عليها وقاموا بقتله،وقد اختلفت الروايات في الكيفية التي قتل بها فقيل إن هولاكو لما ملك بغداد أمر بخنقه،وقيل رفس حتى مات،وقيل مزق،وكانت مدة خلافته خمس عشرات سنة وثمانية أشهر وأياما،الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج23،ص184،الكتبي،قوات الوفيات،ج2،ص140،الديار بكري،حسين بن محمد بن الحسن(ت922ه)،تاريخ الخميس في أحوال النفس النفيس،دار صادر،(بيروت-د.ت)،ج2،ص382،الزركلي،الأعلام،ج4،ص140.

وكان لسقوط الخلافة العباسية الأثر الكبير في نفوس المسلمين،إذ بقيت الخلافة غائبة عن مسرح الأحداث لمدة ثلاث سنوات،وفي سنة(659ه/1260م)قام السلطان الظاهر بيبرس بإحيائها في القاهرة.[1]

معلنا فيها المستنصر أحمد بن الظاهر بن الناصر العباسي،[2]

خليفة لها،إذ إن إعلان هذه الخلافة كان شكليا للغاية،أراد منه السلاطين المماليك إضفاء الشرعية على حكمهم.

وبحلول الخلافة العباسية في مصر،أصبحت تحتل مكانة مهمة في نفوس المسلمين لدى العالم الإسلامي أجمع،فضلا عن ذلك فإن هذا جعل السلاطين بعد إحساسهم بهذا النقص،قاموا بالاهتمام بالعلم والعلماء وتبنوا هذه المسألة بشكل واسع وأغدقوا الأموال على العلماء والكتاب والمؤرخين والأدباء والشعراء وذلك لكي يوحوا إلى المجتمع أنهم امتداد للدولة العربية الإسلامية،وبالفعل كان لهذا الاهتمام أثره الواضح من خلال ظهور العلماء والأدباء والمؤرخين الكبار وعد عصر الموسوعات والمصنفات العلمية الكبيرة في مختلف التخصصات وهذا ما يؤكده السيوطي بقوله:واعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة وعظم

---

[1]–المقريزي،الخطط،ج3،ص195،السيوطي،حسن المحاضرة،ج2،ص53.

2–المستنصر بالله:وهو أحمد بن محمد الظاهر ابن الناصر بالله بن المستنصر،أبو القاسم العباسي،أول الخلفاء العباسيين بمصر،كان ذلك سنة(659ه/1250م)،ولقب بالمستنصر وبعد أن أعلن خليفة أمر الظاهر بيبرس أن يخطب باسمه على المنابر وأن ينقش اسمه على النقود،وأقيمت له المظاهر وأنزل في دار فخمه،ولم يكن له ولا لمن أتى بعده أي أثر يذكر،لأنهم إنما كان لهم من الخلافة اسمها وأبهتها،سيره الظاهر بيبرس في جيش إلى العراق سنة(659ه) لاسترداد بغداد من أيدي التتار فزحف وحارب وانهزم جيشه وفقد هو،وقبل قتل في المعركة قريبا من هيت.
المقريزي،السلوك،ج1،ص350،ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج8،ص200،الديار،بكري،تاريخ الخميس،ج2،ص386،الزركلي،الأعلام،ج1،ص220.

أمرها،وكثرت شعائر الإسلام فيها،وعلت فيها السنة،وعفت منها البدعة،صارت محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء.[1]

هذا ما ساعد على هجرة العلماء والفقهاء والمفكرين والمحدثين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي إليها،حيث ساهموا في بناء حركتها العلمية نحو الأمام بخطوات متسارعة،نظرا للدور المهم الذي كانوا يقومون به في ربط العالم الإسلامي بعضه بالبعض الأخر،كما إن العلماء لم يكونوا بعيدين عن القيام بدورهم في تلك الظروف،ففي الوقت الذي كان الجنود في الميدان لمحاربة الصليبيين،إذ بالعلماء والفقهاء في الداخل يبذلون جهودا كبيرة في توحيد المسلمين،حيث توجب أن يقوم كل بدوره في هذا الأمر،وتحول العلماء في كثير من الأمور إلى قيادة الناس وذلك عن طريق تصحيح الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية حين تنحرف عن المسار الصحيح.[2]

[1]-السيوطي،حسن المحاضرة،ج2،ص93

2-حمزة عبد اللطيف،الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول،ط8،دار الفكر العربي،(القاهرة-1986م)،ص68-83.

ونتيجة لما تقدم ذكره، إن ابن الحاج العبدري المغربي الأصل والنشأة واحدُ من أعلام القرن الثامن الهجري ، كانت له شهرةٌ في مصر وأصبح من أهم مشايخ العلم فيها ، تلقى علومه على يد مشايخ عصره في بلده الأم بلاد المغرب العربي ، ثم انتقل إلى مصر حاضرة العلم آنذاك واستمر في تلقي العلم حتى أصبح واحدا من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان ودرس على يده مجموعة من طلبة العلم نهلوا مما جاد به علمه عليهم ، وله مجموعة من المؤلفات والكتب المهمة والتي شكلت عصب نتاجه العلمي ، ولم يقتصر ابن الحاج العبدري على علومه الفقهية في كتبه وخصوصاً فيما يتعلق بكتابه المدخل إلى الشرع الشريف ، بل تناول مختلف جوانب الحياة في عصره من جوانب اجتماعية واقتصادية وسياسية، وأصبح شاهد عيان في إيراد الكثير منها مما أعطاه ميزةً على غيره من الكتب الأخرى.

الفصل الثاني الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها العالم في فكر إبن الحاج

المبحث الأول: آداب العالم في نفسه

المبحث الثاوي: آداب العالم في درسه

المبحث الثالث :آداب العالم مع طلابه

إرتبط وجود المعلم من قديم العصور بوجود عملية التعلم بدونه لا يمكن أن يكون هناك ما يسمى عملية تعليمية، لكونه يهذب الأجيال الحالية والمقبلة إلى طريق الخير والصلاح، ويثبت فيه المبادئ الدينية والخلقية والوطنية، وينشر بينهم العلم والمعرفة، ولذا كان المعلم مكانة تعين أبناء العصور المختلفة تعلوا أحيانا، وتحط حينا آخر حتى جاءت الشريعة الإسلامية، ورفعت قدر العلم، ونظرا لأهمية التعلم والتعليم، فقد نظرا إليها إبن الحاج العبدري –رحمه الله– باهتمام بالغ وأولها جل اهتمامه، وقد أخذت حيزا كبيرا من كتابه، فالعلماء هم ورثة الأنبياء وتلاميذهم هم علماء المستقبل، والحكم على مستقبل أمة من الأمم يكون من خلال النظر ف واقع التعليم فيها، والمعلم عنصر أساسي في النظام التعليمي، وجزء كبير من نجاح هذا النظام يتعلق بأداء المعلم، وآدابه مع طلابه، لشدة تارهم به يقول ابن الحاج: وكذلك سنة الله أبدا في خلقه أي: من قرأ على شخص لابد أن يسرق طباعه وطريقه وإصطلاحه فإن لم تكن كلها كان بعضها، فإذا كان ذلك كذلك فينبغي للعالم أن يأخذ نفسه أولا بالأدب.

المبحث الأول: آداب العالم في نفسه

المطلب الأول: إلتزام النية وحسن القصد في التعليم

إن أول ما يتطلب من المعلم في عمله بإخلاص في النية لله تعالى فلا يرتجي كسب شهرة أو منال أو اعتلاء منصب أو غير ذلك وعليه أن يجاهد نفسه في ذلك، قوله تعالى: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة»[21]

[1] سورة البينة، آية 05.

، فالعالم يبتغي بعلمه وعمله وجه الله تعالى فالنية هي أول ما يرجى منه، فما ينوي الفرد القيام به من أهم محركات السلوك الخارجية وهي "نقطة البداية للعمليات التخطيطية، والتنفيذية للمنهج والهدف التربوي هو نواة المنهج، وأول مكوناته، لأنه أساس كل نشاط تعليمي وخبرات تعليمية، وطرق وأساليب تدريس وتنظيم محتوى وأساليب تقويم"[1]، فمراجعة الأهداف مهمة لتأكد من مدى مناسبتها، والغاية من كل هذا وفق التربية الإسلامية رضا الخالق سبحانه وتعالى فالتعلم والتعليم عبادة لله، وهذا الهدف الوجداني أهم محرك لسلوك المسلم، وهو دافع مستمر، وتمثله لدى العلماء المسلمين هو الذي فجر طاقتهم العملية، فأنتجوا الحضارة الإسلامية، ونشروا العلم في مشارق الأرض ومغاربها[2].

يقول إبن الحاج العبودي في هذا السياق "**فأول ما ينبغي له أن يحسن يته جهده ما استطاع أكثر من كل ذكر إذ أن ما هو فيه هو أصل الدين وعماده، وكل ما بقي من غيره فهو فرع عنه وتابع له كأصل الشجرة إن استقام استقامت الفروع وإن أصابت الأصل آفة هلكت الفروع والنية هي الأصل لإحراز هذا الأصل إن كان حسنا يسلم صاحبه من العاهات والآفات والبليات قال عليه الصلاة والسلام "نية المرء خير من عمله" ولا يوجد في الأعمال كلها على ما تقدم في أول الكتاب أفضل من العلم، وذلك بشرط أن تكون النية فيه حسنة فإذا كانت النية حسنة كان أفضل الأعمال، وإلا فتكون الأعمال تفضله بحسب ما كانت النية فيه ألا ترى إلى قول مالك رحمه الله لإبن وهب لما أن قام إلى الصلاة: ما الذي**

---

[1] مهدي محمود سالم، الأهداف سلوكية تحديدها مصادرها صياغتها تطبيقاتها، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418 هـ، ص 14.

[2] د-عبد اللطيف بن عبد العزيز الرباح، آداب المعلم عند إبن الالحاج العبدري في كتاب المدخل، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية** ، العدد 07، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التربية، 1439 هـ2008 م، ص 97.

قمت إليه بأوجب عليك من الذي قمت عنه، وإنما قال له ذلك لما كانت نياتهم في طلب العلم ما كانت فكان طلب العلم لا يفوقه غيره ... فالنية أولى ما يراعي العالم أولا ثم ينميها بعد ذلك ويحسنها والعالم أولى بتنميتها وتحسينها، إذ العلم الذي عنده يبصره بذلك ويدله عليه"[1]، فالنية هي ما يعبر عنه بلغة التربية الأهداف تحدد مسار العمليات التعليمية، كما أنها معيار أو مقياس للنجاح في العمل التربوي، فالعمل التربوي يقاس بسمو أهدافه وواقعيتها ونفعها، وبمدى القرب أو البعد عن تحقيق الأهداف، يقول مقداد يالجن: "**إن تحديد أهداف التربية وغاياتها هام من حيث إن الأمور تقوم بحسب ذاتها وبحسب مقاصدها وغاياتها ...، ومن حيث إن الأهداف تكون عاملة محركة للسلوك، وموجهة إليه ... إن الإنسان عندما يتخذ أهدافا وغايات فكلما حقق طرفا منها زاد فرحه وسروره**"[2]، فالنية هي أول ما يرجى من معلم العلم وفي ذلك يقول الخطيب البغدادي "**ينبغي لمن عزم على التحديث أن يقدم النية**"، **وقد أبدى الخطيب رأيه السابق بأثر ساقه عن سفيان الثوري قال فيه "لا تدخل في شيء لك فيه النية**"[3]، و على ذلك ينبغي للعالم أن يخلص النية و يبتغي لعلمه و عمله و جه الله تعالى و أيده في قوله الإيام السيوطي حيث قال أن إخلاص النية هو قصد وجه الله تعالى و أنه لا يقصد بتعلمه أو بتعليمه غرضا دنيوياً كرئاسة أومال أو غيره[4] ويقول إبن الحاج رحمه الله: "وكيفية إخلاص النية أن يكون تعلم العلم بنية أن يمتثل أمر الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى «**وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينه للناس ولا**

---

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 60.

[2] مقداد يالجن، أهداف التربية الإسلامية وغايتها، ط 01، 1406 هـ، ص 09.

[3] سالك أحمد معلوم ، الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي، ط 02، مكتبة لينة، 1413 هـ/1993 م، ص 260.

[4] د. كفاح يحي صالح ، الفكر التربوي عند الإيمام السيوطي ، **مجلة البحوث التربوية و النفسية** ، العدد 43، الجامعة العرقية ، كلية التربية ، قسم العلوم التربوية و النفسية ، عراق ، 2014م، ص 210.

تكتمونه» وقوله سبحانه وتعالى: «**بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**» ويقرأ أيضا تعلمون وتعلمون بمعنى تتعلمون فتجمع القراءات الثلاث العلم والتعليم والتعلم، وقال سبحانه وتعالى: «**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدي من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**بلغوا عني ولو آية**"، وقال عليه الصلاة والسلام: **ألا ليبلغ الشاهد الغائب**"،وروى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لو وضعتم العمعامة على هذه وأشار على قفاه ثم ظننت أن أنقذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تجهزوا علي لأنقذتها، والأجر في العناية بالعلم على قدر النية فيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله تعالى قد أوقع أجره على قدر نيته**"[1].

المطلب الثاني: أن يبدأ درسه بذكر الله

قال تعالى: «الذين آمنوا وتطمئن **قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**»[2] فإن ذلك مما يزيد الدرس مهابة وخشوعا، ويربط بين ما يعلمه وبين طاعة مولى عز وجل، ويضفي على الدرس الهيبة والوقار، وأن ما يقوم به من عمل مع طلابه، طاعة وقربة لله عز وجل فيقول ابن الحاج: "**فإذا فرغ القارئ استفتح و الإقراء فيستعيذ من الشيطان الرجيم لكي يكفي شره في مجلسه ذلك ثم يسمي الله تعالى لكي يعتزله الشيطان لأن كل شيء سمي الله تعالى عليه في ابتدائه عزل منه الشيطان وحرم عليه حضوره، ثم يصلي على النبي –صلى الله عليه وسلم– لتحصل البركة في مجلسه لأن البركة معه عليه الصلاة والسلام**

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 64.

[2] سورة الرعد، آية 28.

حيث ذكر وحيث كان، ثم يترضى عن أصحابه لتكمل بذلك البركة في مجلسه لأنهم الأصل الذين أسسوا **ما جلس إليه**"[1].

فكثير من الأئمة إذا أقدموا في الشروع في التدريس يذكرون الله فابن جماعة كان يبدأ بقراءة شيء من كتاب الله تعالى إذا قدم في الشروع في التدريس تبركا وتيمنا كما هو العادة، فإن كان في المدرسة شرط فيها ذلك اتبع الشرط، ويدعوا عقب القراءة لنفسه وللحاضرين وسائر المسلمين ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويسمي الله تعالى وبحمده ويصلي على النبي وعلى آله وأصحابه ويترضى على الأئمة المسلمين ويدعو لنفسه وللحاضرين ووالديهم أجمعين[2] وكذلك الإمام العلموي الذي يرى أن من واجب العالم أن يبدأ درسه بذكر الله ويديم ذكره تعالى[3]، ويقول إبن الحاج "عليه أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله يقولها ثلاث مرات وإن قدر أن تكون سبعا كان أحسن كذلك كان المحققون من العلماء يفعلون ذلك ثم يسند أمره إلى الله تعالى ويوكل عليه في تسديده وتوفيقه ويفتقر في ذلك ويضطر إليه "أمن يجيب المضطر إذا دعاه" ويتعرب إذا ذاك من فهمه وذمته ومطالعته وبحثه وأنه الآن كان لا يعرف شيئا فإن فتح الله عليه بشيء إذ ذاك كان من الله تعالى فتحا منه وكرما لا لأجل ما تقدم من محاولة المطالعة والدرس

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 115.

[2] د.عبد الأمير ز. شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن جماعة، ط 01، دار الكتاب العالمي، بيروت، 1990م، ص 85،

ابن جماعة، المصدر السابق، ص 63.

[3] العلموي، الشيخ عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي ت 981هـ/1073م، المعيد في أدب مفيد والمستفيد، وقف على طبعه أحمد عبيدة، ط 01، المكتبة العربية، دمشق، 1249هـ، ص 54.

والفهم ثم يستجير بربه من عثرات اللسان ومن نزغات الشيطان ومن الخطأ والزل، ثم يتكلم بما قد حصل عنده من العلم في تلك المسألة"[1].

فمن فوائد بدأ الدرس بذكر الله أن الطلاب يتعلمون أن يبدؤا أعمالهم ذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والنحذير من الشيطان الرجيم فهذه المقدمة التي يلقيها المعلم بهيبة ووقار تغرس في أذهانهم الناشئة الانتماء إلى عقيدتهم وإلى من سبقهم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وسلف الأمة الذين حفظوا عقيدتها.

وقد إلتزم إبن الحاج العبدري –رحمه الله تعالى– بما يدعوا إليه من ضرورة ربط الأعمال بالأهداف، فكل عمل دعا إليه ربطه بهدفه والغاية منه، فالاستعاذة الشيطان تحمي من شروره، والتسمية تعزله وتبعده من مجلسه، ثم يصلي على النبي –صلى الله عليه وسلم– لتحصل له البركة، ثم يرتض عن الصحابة والسلف الصالحين ليشعر طلابه بأنهم امتداد لأولئك العلماء والأئمة، فذكر الله دواء قال تعالى: «**فإذكروني أذكركم**»[2] وقال تعالى: «**ولذكر الله أكبر**»[3].

المطلب الثالث: التواضع

إن العالم الحقيقي هو الذي يدرك مع كل حقيقة يكتشفها أنه يجهل أكثر مما يعلم، فلا يزيده ذلك إلا تواضعا لله تعالى القائل: «**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**»[4]،

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 115.

[2] سورة البقرة، آية 152.

[3] سورة العنكبوت، آية 46.

[4] سورة الاسراء، آية 85.

وقال صلى الله عليه وسلم: "**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا**"[1]، فالتواضع في حقيقته رفعة، فالمعلم كلما زاد تواضعه علا قدره، ومقامه عند طلابه، وعكسه التكبر إزدراء الناس وأولهم التلاميذ، وكانوا أحرى بالهرب منه خاصة من لم يكن له قوة الإرادة، وعزيمة الصبر وعلو الهمة يقول الموردي "**التواضع عطوف، والعجب منفر، وهو بكل أحد قبيح، وبالعلماء أقبح، لأن الناس يقتدون بهم وكثيرا ما بداخلهم الإعجاب، لوحدهم بفضيلة العلم، ولو أنهم نظروا حق النظر، وعلموا بموجب العلم، لكان التواضع بهم أولي ومجانية العجب بهم أحرى، لأن العجب نقص ينافي الفضل**"[2]، فمن الآداب الهامة التي يؤكد عليها إبن الحاج العبدري –رحمه الله تعالى– التواضع والبعد عن الكبر فمن شأن ذلك إيجاد فجوة بين المعلم وطلابه، فكيف يليق بهم أن يرشدهم، ويتعرف على مشكلاتهم، ويساعدهم هو متكبر ومتغطرس، يقول إبن الحاج العبدري: "**وينبغي له أيضا أن يتحفظ على نفسه من المشي الناس عه ومن خلفه ومن وطء عقبه**[3] **وتقديم نعله وإتكائه على أحد إلا لضرورة شرعية فإن هذا كله مثاره من الكبر والخيلاء**"[4].

وفي الحقيقة فإن صفات الكبر والتعالي تدل على الجهل فلو كان عالما على الحقيقة لتواضع كلما زاد علما، يروي عن الإمام الشعبي –رحمه الله تعالى– أنه قال: "العلم ثلاثة أشبار[5] فمن نال منه شبرا شمخ بأنفه وظن أنه ناله، ومن نال

---

[1] محمد بن ابراهيم، المختصر المعلم بأداب المعلم والمتعلم، ط01، مكتب العقيدة الاسلامية، القاهرة، 1436هـ /2015م، ص 54.

[2] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ت 450هـ/1058م، أدب الدنيا والدين، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ، ص 57.

[3] إشارة إلى مشيهم خلفه.

[4] إبن الالحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 202.

[5] أي ثلاث درجات أو مراحل.

الشبر الثاني صغرت إليه نفسه وعلم أنه لم ينله، وأما الشبر الثالث فهيهات أحد أبدا"[1]، ومن التوجيهات الدقيقة والراقية التي يوجه إبن الحاج العبدري –رحمه الله تعالى– المعلم إليها أن يزيد من التواضع والبشاشة والترحاب إذا كان التعليم في بيته قبل انتشار التعليم النظامي، كان المعلم يعقد بعض الدروس في منزله، إما لعارض صحي أو غيره، ولا شك أن الحالة النفسية للطلاب تختلف تبعا لذلك هيبة للمكان يقول إبن الحاج العبدري: "**فإذا كان في بيته لضرورة ما أعني لا يمكنه الخروج لأجلها فأخذه الدرس في البيت أولى بل أوجب، لأن تركه فيه ضرر في الغالب عليه وعلى إخوانه المسلمين، فإذا فعل ذلك فالأدب كما تقدم في المسجد لكن يختص البيت ببعض الآداب، وإن كانت مطلوبة في المسجد لكن في البيت تتأكد، فمنها كثرة تواضعه للداخلين عليه أعني في ذلك تلقيهم ببشاشة الوجه وحسن التلقي إذ أن البيت محل إنقباضهم بخلاف المسجد، لأنهم وغيرهم فيه سواء إن لم يبسط لهم الأنس وإلا كان سببا لإنقباضهم، أو عدم مجيئهم، أو يقل بعضهم لبعض ما يلقيه إليهم ومنها أن يأذن للطلبة وغيرهم ممن يحتاج إلى الاستفادة أو التعليم**"[2].

وهناك من العلماء المسلمين أيضا يرون أن التواضع من آداب العالم، حيث يرى ابن جماعة –رحمه الله– أن على المعلم أن يتواضع مع طالب العلم، ومع كل مسترشد سائل إذا قام بما يجب عليه من حقوق لله تعالى وحقوقه وأن يخفض له جناحيه، وما يلين له جانبيه[3]، قال الله تعالى لنبيه: «**واخفض جناحك لمن اتبعك**

---

[1] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 59.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 99.

[3] إبن جماعة، بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني الشافعي ت 733هـ/1332م، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ط03، اعتنى به محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الاسلامية، بيروت، 1430هـ/2008م، ص 82.

من المؤمنين»[1] فابن جماعة يرى أنه إذا ثبت التواضع والرضا والتوكل وحسن الظن، فالتواضع كان يمنع العلماء الأجلاء من التعليم في البلد الذي يظنون أن فيه من هو أعلم منهم، ومما رواه في ذلك قول بريدة "لقد سمعت سمرة بن جندب يقول: لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما، فكنت أحفظ عنه، وما يمنعني من القول إلا أنه ههنا رجالا هم أسن مني"، ولما سأله سفيان الثوري سفيان بن عيينة: «مالك لا تحدث؟ فقال: أما وأنت حي فلا» ويقول يحي بن معين: "إن الذي يحدث بالبلدة وبها من هو بحديث منه أحمق"[2].

وقال إبن الحاج رحمه الله: "**إذا ثبت التواضع في القلب ثبت فيه جميع الخير من الرأفة والرقة والرحمة والاستكانة والقنوع والرضا والتوكل وحسن الظن وشدة الحياء وحسن الخلق ونفي الطمع وجهاد النفس وبذل المعروف وسلامة صدر والتشاغل عن النفس والمبادرة في العمل بالخير والبطاء عن الشر كل امرئ على قدر ما فيه من البر يكون فعله على قدر ذلك، ويكون حذره على قدر ذلك**"[3]، ونذكر مثالين لشيخين على تواضعهما منهما الشيخ عبد الله بن محمد بن سليمان المتوفي (ت 749هـ/1348م)، كان متواضعا في مجالسه العلمية التي تجمعه بالطلبة، ويقول لهم: "**نحن إخوان نتذاكر العلم فمن ظهر الحق معه قبلناه**"[4].

---

[1] سورة الشعراء، آية 215.

[2] سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص 262.

[3] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 71-72.

[4] السيوطي، حسن المحاضرة، ج 01، ص 225-226، التنبكتي أحمد بابا بن أحمد ت 1036هـ/1652م، نيل الابتهاج بتطريز الديباج عناية وتقديم: د.عبد الحميد عبد الله المهرامة، ط 02، دار الكتاب ليبيا-طرابلس، 2000م، ص 219،

ابن مخلوف، المرجع السابق، ج 01، ص 294.

وعن أبي يوسف قال: "**يا قوم أريدوا بعلمكم الله، فإني لم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أني أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح**"[1].

قال إبن الحاج رحمه الله: "**وينبغي له أيضا أن لا يجلس على حائل مرتفع دون من معه لأن في ذلك صورة الترفع على غيره وليس ذلك من شيم العلماء إذ أن من شأن المدرس التواضع**"[2].

فالإمام النووي يرى أن العالم لا يتعظم على المتعلمين بل يلين لهم فالتواضع لمطلق الناس فكيف بالذين هم كأولاده مع ما هم عليه، من ملازمتهم له واعتمادهم عليه في طلب العلم، ومع ما لهم عليه من حق الصحبة، وحرمة التردد وشرف الصحبة، وصدق التودد.

في قوله صلى الله عليه وسلم: «**لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه**» عن فضيل بن عياض –رحمه الله: إن الله عز وجل يحب العالم المتواضع ويبغض العالم الجبار، ومن تواضع لله تعالى ورثه الحكمة[3].

فالإمام شمس الدين الذهبي حقق هذا الأدب قولا وفعلا، فبعد أن ترجم لنفسه كتابه المعجم المختصر بالمحدثين والجماعة يتفضلون يثنون عليه، وهو أخبر

---

[1] العلموي، المصدر السابق، ص 26.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 197.

[3] النووي محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف ت 676هـ/1520م، آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وفضل طلب العلم، ط 01، مكتبة الصحابة، طنطا، 1408هـ/1987م، ص 35-36.

بنفسه وبنقصه في العلم والعمل والله المستعان ولا قوة إلا به وإذا سلم لي إيماني فيا فوزي[1].

فالتواضع إذن يعد من الخصائص الضرورية في حياة المعلم وذلك لما ينتج من العلاقة الطيبة بين المعلم والمتعلم والتي تكون سببا أساسيا في إخلاص كل منهما لعمله، فبتواضع المعلم في تعليمه يساعد المتعلم على الإقبال على العلم وسرعة تفهمه، فالتواضع من صفات المعلم الجيد، أن لا يتعاظم على المتعلمين بل يلين لهم القول ويتواضع لهم.

وكان أبو حنيفة –رحمه الله– يرى أن العلم بحر واسع لا يحيطه أحد غير الله سبحانه وتعالى فقد كان يقول لتلميذه السمتي "**وإطرح الكبر جانبا**"[2] وعن أشهب بن العزيز قال: "**رأيت أبا حنيفة بين يدي مالك كالصبي بين يدي أبيه**"[3]، وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على تواضعه رضي الله عنه مع كونه أسن من مالك بثلاث عشرة سنة.

ويصف لنا أحد تلاميذ مالك رحمه الله مالكاً يقوله: "**كان مالك إذا جلس معنا كأنه واحد منا، ينبسط معنا في الحديث وهو أشد تواضعا منا**"[4].

---

[1] بسام عمر دياب غانم، الفكر التربوي عند الإمام شمس الدين الذهبي، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، قسم أصول التربية، الأردن، 2003، ص، 94-95.

[2] أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت إلى تلميذه يوسف بن خالد السمتي البصري، مطبعة مصطفى اليابي الحلبي وأولاده، 1936، ص 10.

[3] إبن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص 28.

[4] أبو زهرة محمد، مالك حياته وعصره أراءه الفقهة، القاهرة، دار الفكر العربي، د-ت، ص 44.

المطلب الرابع: التحلي بالموضوعية

الموضوعية تعني الفصل بين العالم والموضوع الذي يتعامل معه، ويعني هذا أن لا تتاثر أقواله وأحكامه بمشاعره وإتجاهاته، فمن الأدب أن يكون موضوعيا في تفكيره، لأن الفكر قائد للسلوك وهو "مجموعة الأساليب والخطوات والأدوات التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة والتعامل معها على ما هي عليه بعيدا عن الذاتية والمؤثرات الخارجية"[1] ومن أبرز الأخطاء التي قد يقع فيها المعلم التي تخالف الموضوعية: التحيز لرأي أو مذهب، أو مصالح ذاتية، والأوساط العلمية بيئة قابلة لانتشار هذه لآفة.

وقد تحدث الإمام العبدري –رحمه الله– عن هذه المشكلة بينا خطورتها من اتباع الدليل لتقرير الحقيقة العلمية إلى اتباع الهوى الذي يؤدي إلى تقرير مبدأ الذي يوافق الهوى وانتقاء الأدلة التي تناسبه بقول إبن الحاج "**فإن كنت على مذهب مالك مثلا فلا يدخلك غضاضة لمذهب الشافعي أو غيره من الأئمة رضي الله عنهم لأنهم الكل جعلهم الله رحمة لك لأنهم أطباء دينك كلما إعوج أمر في الدين قوموه وكلما وقع ك خلل في دينك اتفق الكل على ذهابه عنك وتلافي أمرك وإصلاحه واختلفوا في كيفية الدواء لك على ما اقتضى اجتهاد كل واحد منهم على مقتضى الأصول في تخليصك من علتك وحميتك وإعطاء الدواء لك فإذا رجعت إلى طبيب منهم وسكنت إلى وصفه وما اقتضاه نظره من المصلحة لك فلا يكن في قلبك حزازة من الأطباء الباقين الذين شفوا مرض غيرك من إخوانك المؤمنين وقد أقامهم الله لمصلحة الأمة وتدبير دينهم فإياك أن تجد في قلبك**

[1] عبد الكريم بكار، فصول من التفكير الموضوعي، ط 01، دار القلم، دمشق، 1413هـ، ص 45.

حزازة لبعضهم"[1] ويشير إبن الحاج العبدري في هذا النص إلى مشكلة من أكثر المشكلات شيوعا في كثير من البيئات التعليمية وهي التعصي المذموم لشيخ أو مذهب، فطبيعة الإنسان تميل إلى محبة من يتعلم منه، وما يدرسه من مذاهب، أو أراء وقد تجعله هذه المحبة يخالف مقتضيات العلم ومنهجيته بالبحث عن الحقيقة، إلى التسليم برأي شيخه أو مذهبه دون إعمال صحيح للأدلة، وبعض المعلمين يؤصل هذا التعجب قصدا أو عرضا من خلال إجلاله لعلماء مذهبه آو طائفته فقط، ولا شك أن ذلك خطر كبير يؤدي إلى الرجوع إلى العصبية المذمومة التي حاربتها الشريعة الغراء، فيجب على المعلم ربط تلاميذه بالدليل، ومراقبة الله في عدم التقليل من آراء العلماء الآخرين، ويضرب أمثلة رائعة من العلماء الذين تجردوا عن ذواتهم، وكان هدفهم إبراز الحقيقة، ويشيد بهم قائلا "**روي عن الشافعي –رضي الله عنه– أنه قال: وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم ولا ينسب إلي منه شيء، وقال أيضا رضي الله عنه ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ، وقال رضي الله عنه: ما كلمت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان وتكون عليه رعاية من الله تعالى**"[2].

ومن خلال قراءة لما كتب إبن الحاج العبدري يمكن استنباط بعض الأسباب المعينة على التحلي بالموضوعية العلمية ومنها:

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 111.

[2] إبن الحاج ، المصدر السابق، ج 01، ص 114.

1-الترفع عن طلب المال والجاه عن طريق العلم:

فإن ذلك يؤثر على سمعه وينقص من قدره، خصوصا إذا اتخذ التعليم وسيلة للحصول على مكاسب شخصية دنيوية، يقول إبن الحاج العبدري "**وينبغي له بل يتعين عليه أكثر مما ذكر أن لا يتردد لأحد ممن ينسب إلى أنه من أبناء الدنيا، وإن كان ظاهره غير ذلك؛ لأن العالم ينبغي أن يكون الناس على بابه لا عكس الحال أن يكون هو على أبوابهم، ولا حجة له في كونه يخاف من عدو أو حاسد وما أشبهها ممن يخشى أنه يشوش عليه، أو يرجو أجدا منهم في دفع شيء مما يخشاه**"[1]، فطلب المال أو الجاه ضعف له، ويخشى منه أن يؤثر على موضوعيته، وعلى بيان الحق، كما قد يؤثر على سمعته، أو تؤول أراؤه تأويلا باطلا، وحتى تكون أهدافه نقية، ونيته سليمة، فالعالم مطلوب لا طالب.

فالإمام العلموي يرى أن العلم ليس وسيلة يعطي لمن أعطى مالا، ويمنع عمن لم يعط مالا، أو لم يستطع أن يعطي فقال: على المعلم "**أن لا يطلب على تعليمه أجر ولا يقصد به جزاءا ولا شكورا**"[2]، **قال تعالى:** "**ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله**"[3].

ويعتبر أخذ الأجر على التعليم من ا/ور التي استهجنها بعض علماء السلف الذين لم يكونوا يستسيغون قبول المال أو طلبه مقابل التعليم[4]، حيث دعا العلماء المسلمين إلى مجانية التعليم ومنهم الإمام الغزالي يرى أن العالم عليه أن يقتدي بصاحب الشرح صلوات الله عليه وسلامه، فلا يطلب إفادة أجر ولا يقصد بها

---

[1] نفسه ، ج 02، ص 111.

[2] العلموي، المصدر السابق، ص 44.

[3] سورة هود، آية 29.

[4] فتيحة حسن سليمان، المذهب التربوي عند الغزالي، ط02، مكتبة النهضة، القاهرة، 1964م، ص 14.

جزاءا وشكورا، بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب إليه[1]، كما أن الخطيب البغدادي يؤمن بوجوب التعليم باعباره فرضا على كل مسلم ومسلمة، فيرى أنه لا يطالب العالم أجرا على التعليم بل يقتدي بالرسول –صلى الله عليه وسلم– في احتساب وطلب الأجر من الله تعالى ومما رواه في ذلك قول عمر بن الخطاب: «**يا أهل العلم والقرآن لا تأخذوا للعلم والقرآن ثمنا فيسبقكم الدناة إلى الجنة**» وكان العلماء لا يقبلون الهدية، حتى لا يفسر ذلك على أنه نوع من قبول الأجر مقابل التعليم[2] وقال إبن الحاج رحمه الله: "**وليحذر أن يترك الدرس لعوارض تعرض له من جنازة أو غيرها إن كان أخذ على الدرس معلوما فإن الدرس إذ ذاك واجب عليه وحضور الجنازة مندوب إليه**"[3] **قال تعالى: "قل لا أسألكم عليه أجرا**"[4].

والواقع أن هذه القضية مرتبطة بظروف العصر الحديث، حيث أن الوضع القائم في عصرنا يختلف عن عصر كل من الإمام الغزالي والماوردي وابن جماعة وغيرهم من العلماء المسلمين الذين لا يجيزون للمعلم أخذ الأجرة على التعليم والتي ربما يكون رأيهم في ذلك مبني على ما اتصفوا به من التصوف والذي يقوم أساسا على الزهد في الدنيا، أما عصرنا الحاضر فقد أنشأت مؤسسات تعليمية شملت مدارس تربوية متعددة يقوم عليها معلمون متخصصون ومتفرغون لهذا العمل، بالإضافة إلى كثرة التخصصات وأعداد الطلاب والأعمال الإدارية التي يقوم بها المعلم، كل ذلك ترعاه الدولة بجميع احتياجاتها المادية ومن بينها ما

---

[1] الغزالي، الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت 505هـ/1111م، إحياء علوم الدين، ط01، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ/2005م، ص 68.

[2] سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص 263.

[3] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 113.

[4] سورة الأنعام، آية 90.

يتقاضاه المعلم من أجرة مقابل ممارسته لمهنة التعليم، فنحن اليوم بحاجة لمبدأ مجانية التعليم من أجل رفع الجهل والقضاء على الأمية.

2-التعليم للجميع:

إن واجب المعلم أن تكون رسالته التعليمية متاحة للجميع، فلا فرق بين غني ولا فقير، فكل من رغب في التعليم فله الحق في ذلك، وتظهر ثمرة العلم في المجتمع إذا كان متاحا للجميع خاصة علم الشريعة، فالمجتمع يحتاج إلى توعية وإجابة على أسئلة وفتاوى، وقد حذر من عدم نشر العلم لكافة الناس، فقد روى الإمام البخاري -رحمه الله تعالى: "**كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: أنظر ما كان من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا**"[1] وفي هذه القضية يقول إبن الحاج العبدري -رحمه الله تعالى-: "**أن يأذن للطلبة وغيرهم من يحتاج إلى الاستفتاء أو التعليم أو ليسمع ألا ترى إلى قول مالك -رحمه الله تعالى- للخليفة أدركت العلماء وهم يقولون إن هذا العلم إذا منع عن العامة لم تنتفع به الخاصة**"[2].

فالإسرار بالتعليم وعدم نشره يخالف ما يجب على العالم من نشر العلم ومنحه لكل محتاج له راغب فيه فيترتب عليه مفاسد منها:

- إنقطاع التواصل العلمي بين العلماء والمعلمين.

---

[1] العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ط 01، الرياض، 1421هـ، ج 01، ص 256.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 99-100.

- انتشار الجهل بين العامة.
- البعد عن الواقع وعن حاجيات الناس ومشكلاتهم.

فمثلا قال ابن مفلح رحمه الله: "**قال هشام بن منصور سمعت أحمد بن حنبل يقول تدري ما قال لي يحي بن أدام قلت: لا قال: يجيئني ممن أبغضه وأكره مجيئه فأقرأ عليه شيء معه حتى أستريح منه، ويجيء الرجل الذي أوده فأرده حتى يرجع إلي**"[1].

3-تربية الطلاب على التنويع في مصادر التحصيل العلمي:

في عصرنا الحالي اتسعت أوعية المعلومات، فمع سهولة التواصل والاتصال العلمي بين العلماء والمتعلمين فمن واجب المعلم تدريب الطلاب على تنويع المصادر حتى لا يكون التكرار.

وبطبيعة الحال فعصر إبن الحاج لم تظهر فيه هذه الوسائل إلا أنه انتبه لخطورة أحادية المصدر للتعلم، وضرورية التنويع، وذلك من خلال التلقي من مجموعة من العلماء، يروي إبن الحاج -رحمه الله: "**عن الشيخ بن أبي جمرة -رحمه الله تعالى- أنه إذا تناقش طلابه في مسألة يامرهم بالخروج إلى الفقهاء يسألونهم عنها، فسئل عن ذلك، ولم يحيلهم إلى غيره؟ فقال -رحمه الله تعالى-: أخاف أن أفتيهم فيقع لهم الخلل بسبب إني إن مت بقي الأمر بينهم موقوفا علي لا يعرفون أمر دينهم إلا من جهتي فيقولون: قال الشيخ كذا، فيظنون أن الشريعة خروجها من قبل المشايخ فيرسلهم إلى الفقهاء لسد هذه الثملة**"[2]، وهذه هي

[1] إبن مفلح أبو عبد الله محمد شمس الدين المقدسي الحنبلي ت 763هـ/1361م، الأداب الشرعية و المنح المرعية ، ط04، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1426هـ/2005م، ج 02، ص352.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 93-94.

الروح العلمية التي لا يصل إليه إلا القليل من الناس، وتدل على حرص كبير في غرس الموضوعية في نفوس الطلاب وعدم ارتباطهم بشيخ، بل بالعلم ومصادره.

كما أن إبن الحاج ذكر بعض جوانب الوقاية من تفرد المعلم بطلابه، والنظرة الأحادية في مصادر التعلم الذي يؤدي إلى ضيق الأفق، فعلى المعلم تربية طلابه على تقبل الرأي المخالف وعدم التعصي لمعلم ويستشهد بذلك بفعل الإمام مالك بن أنس –رحمه الله– للخليفة لما أن أراد أن يكتب إلى الأقاليم بكتاب الموطأ وبالأمر أن لا يقرأ أحد إلا إياه فقال له مالك لا تفعل يا أمير المؤمنين فإن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– قد تفرقوا في الأقاليم، وقد أخذ الناس عنهم، فأنظر إلى هذا الكلام منه مع اعتقاده فيما يذهب إليه أنه هو الأولى والأرجح على مقتضى الأصول والنظر، فلم يطعن على ما ذهب إليه غيره ولم يعبه ولم يقل الأولى أن يرجع إلى ما رأيته[1]، فالاختلاف في الفهم والرأي شيء طبيعي راجع لإختلاف عقول الناس، كما حذر إبن الحاج من تعصي لمذهب أو تقديس الأشخاص، فالواجب على الطالب أن يكون هدفه إثبات الحل وإيضاح وإستقامة الناس عليه، فعلى طالب العلم توقير من يتبع السنة النبوية المشرفة ويحبها ويعظمها[2].

المطلب الخامس: أدبه مع أهله

المعلم ينبغي له أن يصيغ شخصيته بالطريقة الربانية التي تعطي كل ذي حق حقه، فيكون ناشرا للخير حيثما كان، ومن أوجب ما يلزمه تعليم الأهل والتعليم الذي تحتاجه الأسرة مبدأ تنموي هام، فإذا قام كل معلم بتعليم زوجته وأبنائه، ووالديه وغيرهم ما يحتاجونه، كان سببا في نشر الوعي الشرعي والصحي

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 111-112.

[2] د.فوزية عثمان عساف الغامدي، الآداب التربوية المستنبطة من كتاب المدخل لإبن الحاج العبدري، دراسات عربية في التربية وعلم النفس، العدد 99، 2018م، ص 75.

والبيئي والأخلاقي، بين أفرد المجتمع، ويساهم في الاستقرار النفسي والاجتماعي للمعلم، ويتخلص من الازدواجية المقية إذا كان ينشط في مجال التدريس لطلابه في مدرسته مع قصور نحو أبنائه وأفراد أسرته، لذا على المعلم أن يؤدي دوره بتوازن بين حاجيات الطلاب، وحاجيات أسرته، وهذا هو أدب العلماء العاملين المخلصين يقول إبن الحاج العبدري: "**وينبغي له أن يتفقد أهله بمسائل لعلم فيما يحتاجونه إليه؛ لأنهم رعيته ومن الخاصة به كما سبق "كلكم راع؛ وكلكم مؤول عن رعيته" الحديث، فيعطيهم نصيبهم فيبادر لتعليمهم لأكد الأشياء في الدين أولا وأنفعها وأعظمها فيعلمهم الإيمان والإسلام ويجدد عليهم علم ذلك، وإن كانوا قد علموه ويعلمهم الإحسان، ويعلمهم الوضوء والاغتسال وصفتهما والتيمم والصلاة وما في ذلك كله من الفرائض والسنن والفضائل وكل ما يحتاجون إليه في أمر دينهم الأهم فالأهم**"[1]، **وقال صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**"[2].

المبحث الثاني: أداب العالم في درسه

المطلب الأول: تهيئة الدرس

وهي كل ما يقوله المعلم أو يفعله يقصد التمهيد للدرس الجديد، وتهيئة المتعلمين ذهنيا، وجسميا، وانفعاليا لتلقي الدرس وقبوله، والتفاعل المتواصل مع مختلف أطراف الموقف التعليمي[3].

---

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 169.

[2] الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ت 279هـ/892م ، سنن الترمذي ، ط 02، باب: في فضل أزوج النبي صلى الله عليه وسلم، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ/1975م، ج 07، ص 707.

[3] سهيلة محسن القتلاوي، كفايات التدريس: المفهوم-التدريب-الأدء، ط01، دار الشروق، عمان، 2003م، ص 42.

فتهيئة الطلاب للدرس أمر مهم لبدء الدرس، وهي مفتاح التعليم الناجح فإذا وقف المعلم في تجهيز طلابه وتهيئتهم لدرس جديد سهلت عليه مهمة إدارة الصف، فإبن الحاج العبدري اهتم بمدخل الدرس وتهيئة الطلاب له وربط ذلك كله عون من الله، وطلب العون والفتح منه يقول: "**فينبغي للعالم أن يأخذ نفسه أولا بالأدب فيما ذكر فيجمع همته وخاطره عند قراءة القارئ فإذا فرغ القارئ استفتح هو الإقراء**"[1].

المطلب الثاني: مراعاة الفروق الفردية

يتفاوت الطلاب فيما بينهم في القدرات العقلية، ومن الأخطاء التي يقع فيها كثير من المعلمين التعامل مع جميع الطلاب بمستوى واحد، فتكون المخرجات نتيجة نهائية يظهر فيها التدني في التحصيل العلمي بين المتعلمين.

والفروقات الفردية عرفها عبد الحميد الهاشمي أنها: "**تلك الصفات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد، سواء أكانت تلك الصفات جسمية أم عقلية أم مزاجية، أم في سلوكه الاجتماعي أو النفسي**"[2]، فالفرد حينما يعمل في المجال الذي يتناسب مع طاقته وقدراته فإن فرصته في النجاح تكون كبيرة بعكس ما إذا اشتغل فيما لا يوافق طاقته.

اهتم الإسلام اهتمام بالغا بمراعاة الفروق الفردية في التعليم فالله تعالى لم يخلق الناس على شاكلة واحدة، ولا بقدرات متشابهة، فشواهد اهتمام الاسلام بالفروق الفردية كثيرة منها **قوله تعالى «قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم**

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 110.

[2] عبد الحميد الهاشمي، الفروق الفردية دراسة تحليلية تطبيقية في مجال التربية والاجتماع، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ، ص 07.

بمن هو أهدى سبيلا»[1]**، وقال سبحانه: «لا يكلف الله نفسا إلا سعها»**[2]، وتحل الآيات الكريمة أعلاه أن كل إنسان لديه استعدادات وقدرات وقابليات وطاقات عما لدى غيره ولذلك يأتي التكليف الرباني متوافقا مع حجم ما لدى كل منهم، ومن التعليم ومبادئه وقيمه الأصيلة التي جاءت بها السنة مراعاة الفروق الفردية بين الناس، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة حينما يكشف القدرات ويعتني بالموهوبين ويحثهم على الإبداع في جوه الخير النافعة وفي ذلك استثمار لملكاتهم وعلى المربي إضافة إلى ثنائه عليهم أن يقدم الجوائز النافعة، وقد استعمل هذا الأسلوب مع صحابته صلى الله عليه وسلم، عندما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من عشرين رجلا فأذنوا فأعجبه صوت أبي محذورة وعلمه الآذان.

ومراعاة الفروق الفردية بين الطلاب في قدراتهم مبدأ تربوي ونفسي هام يجب أن يستحضره المعلم في جميع المواقف التعليمية، وقد تحدث إبن الحاج العبدري عن هذه الفكرة فيقول: "**والله تعالى قد قسم بين عباده الأعمال وتفضل عليهم بالثواب، وروي أن بعض العباد كتب إلى مالك –رحمه الله– يحضه على الانفراد وترك مجالسة الناس فكتب إليه مالك يقول: إن الله تبارك وتعالى قد قسم بين العباد الأعمال كما قسم الأرزاق فرب رجل فتح له في صلاة ورب رجل فتح له في كذا ولم يفتح له في كذا فعدد الأشياء ثم قال: وما أظن ما أنت عليه بأفضل مما أنا فيه، وكلانا على خير إن شاء الله تعالى والسلام**"[3].

---

[1] سورة الإسراء، آية 84.

[2] سورة البقرة، آية 286.

[3] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 61.

فهذا الرجل رأى أن من فضل الإمام مالك بن أنس –رحمه الله– أن يتفرغ للعبادة، وترك الانشغال بالتعليم ولما كان الإمام مالك عارفا بقدراته وإمكانياته علم أن هذا الرأي قد يناسب قائله، لكن لا يناسب الإمام مالك، وكم هي الخسارة التي ستفقدها الأمة لو أن الإمام مالك أخذ برأي هذا الرجل، واقتصرت منفعته على نفسه فقط.

فالله تعالى فاوت في الأفهام بين الخلق، لذا صار واجبا على المعلم أن يتعامل مع تلاميذ حسب قدراتهم العقلية ويشير إلى ذلك ابن مفلح –رحمه الله– بوجوب مراعاة الفهم والقدرات العقلية عندما يخاطب الإنسان غيره فقال: "**وإنما ينبغي أن يخاطب الإنسان على قدر فهمه**"[1] قال تعالى: «**ولو ردوه إلى الرسول**"[2]، **وقال تعالى:**" **وما يعقلها إلا العالمون**»[3].

كما أن الإمام العلموي يوضح أيضا أن المتعلمين متفاوتين عقليا وكل له استعداداته الخاصة لذا فمن واجب المعلم أن يعرف قدرات الطالب قبل البدء في تعليمه فيعطي ويعلم طل طالب على حسب طاقته[4].

يقول إبن الحاج رحمه الله: "**فيحتاج العالم إذا ذاك إلى أمرين ضدين لا يدله من اجتماعهما مراعاة جانب السنة والتغير والانزعاج عند مخالفة شيء منها والرفق المأمور به في حق إخوانه المؤمنين كل على قدر حاله**"[5] أي كل على حسب قدرته وطاقته.

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، ج 02، ص 187.

[2] سورة النساء، آية 83.

[3] سورة العنكبوت، آية 43.

[4] العلموي، مصدر سابق، ص 52.

[5] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 113.

فالطلاب يختلفون عن بعضهم في القدرات العقلية ومن واجب المعلم أن يراعي هذا المبدأ حتى تجعل الفائدة للجميع وذلك من خلال تنويع أساليب الشرح، وعدم إحراج الطالب لقصور قدرته، بل يكلفه على قدر طاقته، ومن المبادئ التربوية الحديثة "**مبدأ تفريد التعليم**" الذي يركز على تفجير طاقات الطلاب والتنويع بينهم بحسب ما وهب الله لكل منهم، يقول إبن الحاج العبدري مبينا دور المعلم في ذلك: "**يبين صورة المسألة في الكتاب لجميع من حضر الصغير والكبير، لأن ل لفظ الكتاب مطلوب من الجميع الصغير والكبير ممن يحفظ الكتاب وممن لا يحفظه، وهو أقل فائدة حضور مجالس العلم، وما يقع عليها بعد ذلك من كلام، فذلك الذي تختلف أحوال الناس في فهمه، فمنهم من يحصل الجميع، ومنهم من يحصل البعض على قدر ما رزق اله تعالى لكل واحد من القهم، فيكون أول مرة يسير سير الضعيف للحديث الوارد عنه عليه الصلاة والسلام «سيروا بسير أضعفكم» فإذا تحصل لضعيف مقصوده، وهو حل لفظ الكتاب حينئذ يرجع في البيان إلى من هو أقوى منه، ثم يندرج بعذ ذلك قليلا قليلا**"[1]، وعلى هذا يجب على المعلم أن يراعي أثناء تدريسه الفروق الفردية بين الطلاب ويضع في اعتباره تفاوت قدرات الطلاب في التعليم بين الذكي النابه ومتوسط الذكاء، حيث أن مبدأ مراعاة الفروق الفردية يعد من المبادئ الهامة في طرق التدريس، لأن عدم مراعاتها يؤدي إلى ضياع الطلاب الأذكياء.

المطلب الثالث: الاهتمام بالكيف لا بالكم

في عصر المعرفة، وتدفق المعلومات، وسهولة تطولها نسخها، ينبغي الموازنة بين الكم والكيف في المادة التعليمية، أمام المختصين في المناهج وبدأت

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 113.

أهمية واضحة إلى الدعوة إلى الاهتمام بنوعية المادة المعطاة للتلميذ فالعلماء المسلمين كانوا بنوعية أكثر من كميتها مع التركيز على التطبيق والممارسة لما تم تعلمه ويقول ابن الحاج: "**وقال أهل العلم بالحديث لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث وكتبه دون وفهمه فيكون قد أتعب نفسه من غير أن يظفر بطائل**"[1] فيجب على طالب العلم أن يتجاوز مستوى الحفظ والفهم، إلى ثمرته وهو التطبيق، ويشير إلى أهمية اكتساب الخبرات والتدرب عليها، التي عبر عنها بلغة عصره **(الاستعمال)** ينقل عن إبراهيم الخواص: "**كيس العلم بكثرة الرواية إنما العلم لمن اتبع العلم واستعمل واقتدى بالسنن**"[2] فالعلم معرفة وفهم، والإقتداء بالسنن تطبيق والاستعمال تدريب واكتساب مهارات.

قال إبن الحاج رحمه الله: "**قال مالك رحمه الله: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم نور يقذفه الله تعالى في القلوب**"[3]، وسأل رجل ابن مبارك يا أبا عبد الرحمان في أي اجعل فضل يومي في تعلم القرآن أو في تعلم العلم؟ فقال: هل تحسن من القرآن ما تقوم به صلاتك؟ قال: نعم قال عليك بالعلم"[4] وهذا يبين لنا أهمية الموازنة بين الكم والكيف في المادة العلمية.

المطلب الرابع: بذل الجهد والطاقة في تعليم الطلاب

فالمعلم هو القدوة والمربي، ويقدر ما يبذله من جهد ونشاط في إعداد الدرس واختبار الطرق المناسبة للعرض، وتعرفه على سمات الطالب، وتعامله الجيد وكل هذا يحتاج من المعلم أن يبذل أقصى ما لديه من جهد وطاقة في تعليم التلاميذ،

---

[1] نفسه، ج 01، ص 16.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 16.

[3] نفسه، ج 01، ص 17.

[4] المقدسي، الصدر السابق، ج 02، ص 121.

جاء في إعلان مكتب التربية العربي لدول الخليج: "**المعلم صاحب رسالة يستشعر عظمتها، ويؤمن بأهميتها، ولا يضن على أدائها بغال ولا رخيص، ويستصغر كل عقبة دون بلوغ غايته من أداء رسالته**"[1].

وكل هذا يحتاج إلى وقت وجهد يجعل المعلم يؤديه بهمة ونشاط وعدم الانشغال عنه يقول إبن الحاج في ذلك: "**وينبغي أن يكون خائفا على نفسه من التقصير، مشفقا على نفسه في التبليغ، يرى نفسه أنها ليست أهلا لذلك، ويرى نفسه أنه اقل عبيد الله، أكثرهم حاجة إليه، أفقرهم إلى التعليم ... مسترشد متعلم يقصد مع إخوانه يرشدهم، ويسترشد منهم، ويعلمهم ويتعلم منهم**"[2]، ومن بين العلماء الذين بذلوا الجهد ,انتفع بهم: أبو الجواد داود بن سليمان بن حسن البنبي الفرضي الحاسب (ت 863هـ/1458م)، تقدم في علم الفرائض ، وعلم الحساب، وانتفع به الناس وهذا دليل على ما بذله من جهد[3].

وأيضا الشيخ صدر الدين أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الحكيم بن عمران الأوسي، الملقب بسحنون (695هـ/1295م) الذي كان متفرغ لتدريس العلم وبذله، وحرصه على نشره وتبليغه ودليل ذلك أنه جالس الإمام المؤرخ المحدث الذهبي، وقرأ عليه عرضا القرآن الكريم كاملا بروايتي ورش وحفص في مدة أحد عشر يوما[4] وهي مدة وجيزة جدا.

---

[1] مكتب التربية العربي لدول الخليج، إعلان مكتب التربية العربي لدول الخليج لأخلاق مهنة التعليم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1405هـ، ص 13.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 64-65.

[3] السخاوي، الضوء اللامع، ج 09، ص 113، التنبكتي، المصدر السابق، ص 536.

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 52، 260-261، ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشافعي ت 833هـ/1423م، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: ج، برجستراسر، ط 01، دار الكتب العلمية بيروت، 2006م، ج 01، ص 371.

وقال عمرو ابن العاص لحلقة قد جلسوا إلى جانب الكعبة فلما قضى طوافه جلس إليهم، **وقد نحوا الفتيان عن مجلسهم**، فقال: "**لا تفعلوا أوسعوا لهم وأدنوهم وألهموهم، فإنهم اليوم صغار قوم يوشك أن يكونوا كبار قوم آخرين قد كنا صغار قوم أصبحنا كبار آخرين**"، ثم أيده ابن الملفح في هذا فقال بعد قصة عمر بن العاص: "**وهذا صحيح لا شك فيه**"، ثم ذكر السبب في هذا البذل والعطاء والتوقير للمتعلم فقال: "**والعلم في الصغر أثبت فينبغي الاعتناء بصغار الطلبة لا سيما الأذكياء المتيقظين الحريصين على أخذ العلم، فلا ينبغي أن يجعل على ذلك صغرهم أو فقرهم وضعفهم مانعا من مراعاتهم، والاعتناء بهم**"[1].

المطلب الخامس: إدارة الصف

هي العملية المنظمة والمخططة التي يوجه فيه المعلم جهوده لقيادة ال[لأنشطة الصفية، وما يبذله الطلاب من أنماط سلوك تتصل بإشاعة المناخ الملائم لتحقيق أهداف تعليمية مخططة، يخططها المعلم ويعيدها الطلاب[2]، فالمعلم لا يمنه أن يؤدي مهامه التعليمية والتربوية إلا في جو يسوده الانضباط، وفق نظام محدد يعرفه الطلاب، والمعلم مسؤول عن تطبيقه حتى يتعلم الطلاب الأدب مع المعلم ومع بعضهم، وقد يكون بينهم من له مكانة اجتماعية يظن بأنه يتقدم بها على زملائه، فمكان التعليم مكان تساوي يقول إبن الحاج العبدري: "**ألا ترى إلى ما جرى لمالك –رحمه الله تعالى– في قصته مع الخليفة لما أراد الخليفة أن يقرأ عليه كتاب الموطأ وجلس الخليفة إلى جانب الإمام مالك وأمر وزيره جعفر أن يقرأ، فقال له مالك –رحمه الله تعالى–: يا أمير المؤمنين إن هذا العلم لم يؤخذ إلا بالتواضع وقد قال العلماء –رحمة الله عليهم– وأن تتواضعوا لمن تتعلمون**

[1] المقدسي، المصدر السابق، ج 01، ص 295.

[2] نايفة قطامي، مهارات التدريس الفعال، ط01، دار الفكر، عمان7، 2003م، ص 356-357.

منه، فقام الخليفة وجلس بين يديه، هذا هو خليفة ذلك الزمان مع أنه في الفضيلة كان بحيث يعلم موضعه منها، ولأجل ما عنده من فضيلة العلم إنقاد إلى الأدب والتواضع، ولم يزده ذلك إلا رفعة وهيبة بل ارتفع قدره بذلك وبقي يثنى عليه بذلك في مجالس العلماء وغيرهم"[1].

فإبن الحاج قدم توجيهات للمعلم في إدارته للطلاب منها:

- **ألا يسمح لأحد الطلاب بمقاطعته أثناء الشرح:** أي لا يسمح لطالب بمقاطعته وهو يشرح بل يستمر في شرحه حتى يكمل الموضوع، ثم يفتح المجال للنقاش، لأن ذلك يشتت الذهن وتسلسل الأفكار للمعلم والطالب ويقول: "**وينبغي له إذا اخذ يتكلم في الدرس، فأوردت عليه المسائل والاعتراضات والتنظيرات، أن لا يجيب أحداعن مسألته، وليمض فيما هو بسبيله، ويسك من أورد عليه برفق، أو يأمر من يسكته، لأن الإيراد إذ ذاك يخلط المجلس ولا يحصل بسببه كبير فائدة، فيبين المسألة لنفسه، ويوجهها ويستدل بها، ويورد عليها، ويعترض عليها ثم يجيب عن ذلك كله**"[2].
- **أن لا يسمح لأحد من الطلاب أن يقاطع كلام زميله:** وهي من المواقف اليومية في التدريس تداخل حديث الطلاب، ومحاولة سبق بعضهم بعض في السؤال أو الإجابة وكل هذا يؤدي إلى تحاسد وتنافس **يقول إبن الحاج العبدري:** "**وكذلك أيضا يسرق منه بعض الناس ما يريد أن يقوله فيقطع الكلام عليه ويستبد هو بالجواب أو إلقاء المسألة لنفسه، وهذا كله لا يجوز وأصله الرياء والعجب والمباهات والفخر ومحبة النقل عنه ومحبة الظهور على الأقران**"[3] وهذا يؤدي

---

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 121-122.

[2] نفسه، ج 01، ص 112.

[3] نفسه، ص 114.

إلى تعويدهم على كمال الأدب، وعدم الاستعجال، وحفظ حق الطالب في كامل سؤاله ومداخلته

المبحث الثالث: أداب العالم مع طلابه

المطلب الأول: الرفق بالطلاب

من البشاشة واللين، والممازحة الهادئة التي تنشط النفوس، فالمتعلم بحاجة إلى البشاشة، والمعاملة الحسنة وطلاقة الوجه، لتقبل العلم من معلمه، فينبغي على المعلم أن يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال الله عز وجل فيه: «**وإنك لعلى خلق عظيم**»[1] وقال إبن الحاج العبدري: "**أن يتحرز من المزاح المخرج عن حد الوقار وإن كان المزاح جائزا إذا كان على سبيل الصواب وإبقاء هيبة العلم ووقاره ألا ترى إلى واصف النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وكان يمزح، ولا يقول إلا حقا**"[2] فالمزاح يكسر الحواجز بين المعلم وتلاميذه، إذا كان مزاح خاليا من الكذب والكلام الفاحش، وكان معلم في التربية الإسلامية يعامل طلابه كأبنائه، ويفتقدهم إذا غابوا ويبذل لهم من ماله إذا احتاجوا "**عن ابن أبي وداعة قال كنت أجلس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فانشغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها ثم قال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة، قال: أنا فقلت: وتفعل! قال: نعم ثم تحمد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني**

[1] سورة القلم، آية 04.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 199.

على درهمين أو قال ثلاثة ... فانصرفت إلى منزلي فوجه إلي بعشرين ألف درهم"[1].

ويقول إبن الحاج العبدري في ذلك: "**أن يتحرز في حق غيره ممن يجالسه أو يباشره كما يحترز في حق نفسه لحق إخوة الإيمان ولحق الصحبة والمشاركة في مجلس العلم والخير والواجب من الخير والإرشاد والتغير، ... فإذا رأى أحد من جلسائه قد خالف السنة أو ارتكب بدعة أو تهاون بشيء من ذلك نهاه بلطف وعلمه برفق، قال تعالى في التغيير على عدو من أعدائه منازع له في ملكه «فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى»**[2] **فإن كان هذا الأمر في حق هذا العدو المتمرد فما بالك في حق أخ مسلم رفيق جليس جاء مسترشدا متعلما فيجب أن يرفق به فيأخذ أمره باللطف والسياسة ئلا يتغير لأن الغالب على النفوس النفور عند زجرها عن الشيء فيحتاج العالم إذ ذاك إلى أمرين ضدين لابد له من اجتماعهما: مراعاة جانب السنة والتغيير والانزعاج عند مخالفة شيء منها، والرفق المأمور به ... فلا ينفرهم بل يستجلبهم، ويسرق طباعهم بالسياسة حتى يردها إلى قانون الاتباع"**[3].

فالإمام العلموي أيد إبن الحاج في هذه القضية حيث يرى أنه على العالم أن يحسن خلقه مع طلابه ويحترمهم ويحسن استقبالهم والترحيب بهم يقابلهم بالبشاشة وطلاقة الوجه، ويقدم لهم كل ما يستطيع أن يقدمه من عمه ومال، وأن يكون معهم لطيفا لينا يستطع التأثير فيهم[4].

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 04، ص 233-234.

[2] سورة طه، آية 44.

[3] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 108-109.

[4] العلموي، المصدر السابق، ص 48.

قال إبن الحاج رحمه الله: "**قال وقع لي سؤال مع سيدي ابي محمد رحمه الله لما جئت أريد أن أقرأ عليه فقال لي أما تقرأ على العلماء فقلت أريد أن أقرأ عليك، فقال لي كيف تترك العلماء وتأتي تقرأ على مثلي فقلت أريد أن اقرأ عليك، فقال استخر الله تعالى فاستخرت الله تعالى ثم جئت إليه فقلت اقرأ فقال عزمت قلت نعم فقال لي لا يخطر بخاطرك ولا يمر ببالك أنك تقرأ على عالم ولا أنك بين يدي شيخ إنما نحن إخوان مجتمعون نتذاكر أشياء من أحكام الله تعالى علينا فعلى أي لسان خلق الله الصواب والحق قبلناه وإن كان صبيا من المكتب**"[1].

وهكذا ترى أن أهم ما يميز العلاقة بين المعلم وطلبته هو الرحمة والرفق من العالم لطلبته، وهو ما ينبغي أن يحس به الطالب ويستشعره اتجاه معلمه، وقدوتنا في كل ذلك معلمنا الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: «**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**»[2].

وقد أدرك العلماء أن من أنجح الأسباب التربوية الرفق بالمتعلم والأخذ بيده ومعاملته معاملة حسنة خاصة وأن "**شعور المتعلم بعطف معلمه عليه وبرفق معاملته له يكسبان المتعلم الثقة بالنفس ويشعرانه بالاطمئنان إلى معلمه، فيساعده هذا الشعور على تحصيل العلم بسهولة أكثر**"[3] **وفي هذا يحث الخطيب البغدادي العالم إلى** "**أن يعود لسانه لين الخطاب والملاطفة في السؤال والجواب،**

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 67.

[2] سورة التوبة، آية 128.

[3] فتيحة حسن سليمان، المرجع السابق، ص 33.

ويعم بذلك جميع الأمة من المسلمين وأهل الذمة"[1]، فالمزاح في ثنايا الدرس يطرد الملل، ويريح ذهن المتعلم من عناء المتابعة الدقيق للمعلم، ويفيد المعلم أيضا في أخذ قسط من الراحة، ومن المشايخ من اتصف بالرفق بالطلاب هو محمد بن أحمد بن محمد بن عطاء الله (ت 893هـ/1449م)، تفقه وطلب الحديث وكان ذكيا سخيا في إسداء المعروف لطلبته[2].

وكذلك الشيخ أبو القاسم جمال الدين عبد الرحمان بن محمد المشهور بابن خير الاسكندري (ت 791هـ/1388م)، تفقه على أبيه وغيره، و اشتهر بالديانة وحب العلم، معرفة تامة بعلم الخلاف[3]، درس وتولى القضاء وكان سرور الناس به كبيرا[4].

المطلب الثاني: إقتراب المعلم من طلابه في مجلس التعليم

ويكون ذلك بالاقتراب منهم، واحترامهم وتقديرهم، ومراعاة مشاعرهم وما يؤكد إبن الحاج العبدري –رحمه الله تعالى– على ضرورة اقتراب المعلم من تلاميذه، وإقرابهم منه، فالقرب الجسدي يؤدي إلى القرب النفسي يقول: "**وينبغي له أيضا أن يتحرز من هذه الحلقة التي تعمل له في كون الطلبة يبعدون عنه والسلف كانوا لا يبعدون بل تمس ثياب العالية ثياب المدرس لقربهم منه**"[5] وبقول في ذلك –رحمه الله–: "**وذكر ابن عبد البر في كتاب (بهجة المجالس)، عن ابن عباس قال: أعز الناس على جليسي الذي يتخطى الناس إلي، أما والله إن الذباب**

---

[1] سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص 277.

[2] الثنبكتي، المصدر السابق، ص 530.

[3] علم الخلاف: هو علم يعرف به كيفية ايراد الحجج الشرعية ودفع الشبه وفوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية وهو الجدل الذي هو قسم من المنطق إلا أنه يخص بالمقاصد الدينية.

[4] إبن حجر، الدرر الكامنة، ج 03، ص 137، الثنبكتي، المصدر السابق، ص 249.

[5] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 192.

يقع عليه فيشق علي، وسئل ابن عباس من أكرم الناس عليك؟ قال: جليسي حتى يفارقني"[1].

فقرب الطلاب من المعلم يكسر الحواجز ويشجع الطلبة على السؤال عما يجهلونه، والمقصود هنا ألا يشعرهم ببعده عنهم، أو أن بينهم وبينه حواجز وكما سبقت الإشارة فالبيئة التعليمية مختلفة وتتطلب من المعلم الوقوف، وربما الحركة بين الطلاب ليشرف على التدريب أو نشاط وذلك لكثرتهم، ولطبيعة الصف الدراسي.

المطلب الثالث: محاربة الأمراض الإجتماعية التي قد تحصل بين الطلاب

هناك أمراض قد تنتشر في الوسط التعليمي كغيره من البيئات الإجتماعية مثل الغيبة والنميمة والكذب، وانتشارها يؤدي إلى تفكك وضعف التعاون وضعف الرابطة الإجتماعية التي هي من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية، وقد تحدث إبن الحاج العبدري عن الآفات الإجتماعية التي تكون البيئة التعليمية مناخا مناسبا لوجودها ويبين دور المعلم في الحد منها:

- النميمة:

وهي نقل الكلام السيئ بين الأفراد لإفساد العلاقة بينهم، وهي بهذا المعنى تساهم بشكل كبير في إضعاف العلاقة بين أفراد المجتمع وتسبب العداوة والبغضاء، وهي مرض يظهر نتيجة الحسد وقد جاءت السنة بتحريمها «**عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على قبرين، فقال: (إنهما ليعذبان، ما يعذبان في كبير، أما هذا: فكان لا يستتر من بوله، وأما هذا: فكان يمشي بالنميمة)، ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين، فغرس على هذا**

[1] المقدسي، المصدر السابق، ج 01، ص 394-395.

واحد، وعلى هذا واحدا، ثم قال: (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)» [1]، ويقول إبن الحاج العبدري –رحمه الله– في هذه القضية بأنها تعاني منها الأوساط التعليمية من المعلمين والطلاب.

ويجد الشيطان ثغرة للإيقاع بين المشتغلين بالتعليم، لأنها بيئة تنافسية يقول: "**ويجب عليه أن لا يسمع من ينم عنده، وكذلك من ينقل أخبار الناس وما جرى لهم مما لا يترتب عليه فائدة شرعية، لأن للشيطان في هذا الباب مجالا كبيرا، لأنه لا يأتي لأحد إلا من الباب الذي يعلم أنه يقبل منه، فلا يمكنه أن يأتي للعالم، أو العابد فيوسوس له بالزنا أو شرب الخمر، لأنه قد أيس أن يقبل ذلك منه ولكنه يأتي بذكر شخص غائب فيذكر بخير فيقوم بعض من حضره ويستثني بقوله: إلا أن فيه كذا وأنه كذا فيترتب الإثم على جميع من حضر**"[2]، ويستطيع المعلم التقليل من هذا السلوك وقضاء عليه إذ لم يستمع إلى النميمة، **قال تعالى: «هماز مشاء بنميم»**[3].

– الكذب:

فعلى المعلم أن يكون بعيدا عن الكذب لأنه مخالف لمنهج رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الذي أمر باتباعه الذي ورثه عن محمد –صلى الله عليه وسلم– فـــ(العلماء هم ورثة الأنبياء) يقول إبن الحاج العبدري: "**وقد تقدم المنع من النعوت لما فيها من الكذب فمن باب أولى الكذب صراحا، فيتحرر منه أن يقع في**

[1] العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب باب الغيبة، ج 10، ص 576.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 194-195.

[3] سورة القلم، آية 11.

مجلسه، فإن وقع فلينتقم على فاعل ذلك، أو يمنعه من حضور المجلس حتى يتوب إلى الله ويقلع"[1].

- الغيبة:

من الأخلاق الإيمانية التي حث عليها الإسلام الابتعاد عن الغيبة ولا شك أن الغيبة قد حرمها الله تعالى لقوله: «**ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وإتقوا الله إن الله تواب رحيم**»[2] فيقول إبن الحاج رحمه الله في ذلك: "**ويجب عليه أن يتحرز على نفسه وعلى من حضر من الغيبة، لأنها مصيبة عظمى في الدين**"[3] ويقول إبن الحاج رحمه الله: "**فاخذر يا أخي الغيبة إذا نزلت وثبت في القلب وأذت صاحبها لنفسه في احتمالها لم ترقى بسكناها حتى توسع لإخوانها وهي النميمة والبهتان**"[4]، فهي صفات غير مرغوبة الموجودة عن الأفراد والجماعات بين الناس يقصد بهم تحقيرهم وانقاص قدرهم ولذا حرمها القرآن الكريم.

فدعى إبن الحاج إلى الصمت عما لا يعني الشخص وذلك مصدقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "من حسن سلام المرء تركه ما لا يعنيه" بل يعد الصمت غنيمة وإحداث نعمة يلتمس الشكر عليها إذا علمت أن وراء كل كلمة رقيبا عنيدا..

فعلى العالم أن يظهر نفسه من هذه الأوصاف المذمومة من الغيبة والنميمة والبهتان والكذب فإنها باب كل شر، كما لا تصح الصلاة إلا بتطهير عن الأحداث والأخباث، فكذلك لا تصح عبادة الباطن بالعلم إلا بعد طهارته من خبائث الأخلاق،

---

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 196.

[2] سورة الحجرات، آية 12.

[3] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 195.

[4] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 69.

وقد ابتلي بعض أصحاب النفوس الخبيثة من الفقهاء بكثير من هذه الصفات إلا من عصمه الله تعالى[1].

المطلب الرابع: العدالة بين الطلاب

المتعلمون عند معلمهم مثل الأبناء، وكما يحصل التنافس بين الأبناء، فإنه سيحصل بين المتعلمين، وهذا التنافس قد تتولد عنه غيرة وحسد وبغضاء وتفرقة بين المتعلمين، فمن واجب المعلم أن يوليها اهتماما حتى تسود الصحة النفسية في المؤسسة الاجتماعية، ويشير إبن الحاج العبدري إلى قضية حقيقية جدا عند الطلاب، ويغفل عنها في المؤسسات التعليمية كثيرا وهي مكان التعلم، فيرى أن يعطى المكان للذي يحضر متقدما من الطلاب، دون محاباة، أو حجز مسبق، يقول ابن الحاج: "**وينبغي له أيضا أن لا يكون في مجلسه مكان مميز لأحج الناس بل كل من سبق لموضع فهو أولى به كما هو ذلك مشروع في انتظار الصلاة، ولا يقام أحد من موضعه جبرا ويجلس فيه غيره للنهي من صاحب الشريعة –صلى الله عليه وسلم–عن ذلك حتى ولو قام غير معرض عنه لضرورة وعاد كان به أحق**"[2]، فالتنافس على الأماكن المتقدمة أو غيرها فهي ظاهرة تنتج عنه المشكلات، ومع توسع المجتمع التعليمي وكرة الطلاب تحتاج هذه القضايا إلى المراعاة، فأكد إبن الحاج على الاهتمام بالطالب، ورفع معنوياته ومكانته التي يستحقها مقابل حرصه والتكبر لدرس وأيده ابن مفلح على خطورة هذه القضية فتساعد على تفشي الأمراض النفسية في المجتمع قال ابن مفلح فينقل لنا عن "**مجاهد قال المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان كتب من الظلمة**"[3].

---

[1] محمد بن ابراهيم، المرجع السابق، ص 39.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج. 01، ص 192.

[3] المقدسي، المصدر السابق، ج 01، ص 245.

ومن العدل كما قال العلموي رحمه الله: "**أن لا يقوم أحد في نوبة غيره، ولا يؤخره عن نوبته إلا إذا رأى في ذلك مصلحة**"[1]، فالإمام العلموي وعي إلى أن يحكم العدل سلوك المعلم في تعامله مع طلابه ونهاه عن صفة التمييز للبعض، حيث قال تعالى: «**وأمرت لأعدل بينكم**»[2].

وقال ابن الحاج: "**وقد ذكرت لبعض المباركين شخصا وأثنيت عليه كتفه وقلت له أن والده يطلب له العدالة فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هو الآن عدل كيف يجرحونه فقلت له العدالة تجريح فقال نعم في هذا الزمان ترك العدالة هي العدالة**"[3].

المطلب الخامس: تحمل ما قد يلقاه من أذى

يستحيل أن يحصل علم بلا تعب ولا شقاء، والمعلم سيواجه في تعليمه صنوفا من التلاميذ، والمتعلمون خصوصا من كان منهم صغير السن سيكثر منه الجهل وقلة الأدب، وذلك بسبب قلة التجربة في هذه الحياة، فكثرة الاختلاط بهم والتفاعل معهم يترتب عنها مشكلات تصيب المعلم بأذى من سوء أدب بعض التلاميذ بتعديهم عليه بالقول أو الفعل، فمن حق المعلم أخذ حقه، ولكن من أدبه أن يعفو ويتحمل، ويصفح وقدوته في ذلك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسائر الأنبياء الذين هم من ورثوا العلم للمعلم، وينبغي له أن يقتدي بهم، حيث تحمل –صلى الله عليه وسلم– من الأذى الشيء الكثير، وهو إمام المعلمين، يقول ابن الحاج: "**وينبغي له أيضا أن لا ينزعج على من أذاه ويجاهد نفسه لترتاض**

---

[1] العلموي، المصدر السابق، ص 52.

[2] سورة الشورى، آية 15.

[3] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 160.

فيحسن له بالعفو والصفح عنه"[1]، ويؤده ابن مفلح رحمه الله: "ومن كلام أكثم ابن صيفي: ويل عالم من إمرئ جاهل"[2].

ومما سبق يمكن القول

ونلخص من هذا الفصل إلى أن الآداب التي تأدب بها إبن الحاج العبدري والتي يختص بها المعلم هي آداب ذات قيمة تربوية، وكان مستندا في هذه الآداب إلى ماتضمن القران والسنة وأقوال السلف الصالحين، وتتلخص في:

-اهتمام إبن الحاج العبدري بالتعليم، والحرص على نشره وتعليمه من خلال شد اهتمامه بالتلاميذ، وحسن معاملتهم.

-أن يقصد بعلمه وجه الله تعالى لأن خلاف ذلك يؤدي إلى الخسارة وحرمان ثواب الدنيا والآخرة.

-تركيزه على الجوانب الأخلاقية من خلال توصية المعلمين بالتحلي بالأخلاق وأن يكونوا قدوة لطلابهم.

-تحذيره من الآفات التي تؤثر سلبا على الروح العلمية للمعلم وتفسد الطلاب ايضا كالتعصب للمذهب أو لغيره.

-اهتمامه بالجوانب الفنية من عملية التعليم كتهيئة الطلاب للدرس وإدارة الصف.

كما رأى أنه يجب على المعلم ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب والوقوف على استعدادات وإمكانيات كل متعلم على حدى أثناء عملية التدريس،

---

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 192.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ج 04، ص 261.

وتلك هي أراء إبن الحاج عن آداب العالم ومقارنتها بآراء غيره من المسلمين، أمثال الإمام العلموي والنووي وابن جماعة والغزالي وغيرهم وهذه الآراء كانت ليست بدعة إلا أن لها تمام الفضل في حفظ مصنفات السابقين التي فقد منها الكثير

الفصل الثالث

الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم في فكر إبن الحاج

المبحث الأول :آداب المتعلم في نفسه

المبحث الثاوي :آداب المتعلم في درسه

المبحث الثالث :آداب المتعلم مع شيخه

إن أول ما نزل من القرآن الكريم أن أمر الله عز وجل نبيه بالقراءة فقال تعالى: «**إقرأ بإسم ربك الذي خلق**»[1]، ثم أقسم ربنا جل وعلا في سورة أخرى في كتابه الكريم بالكتابة وأدواتها فقال جل وعلا: «**ن والقلم وما يسطرون**»[2]، ثم تتالت الآيات في بيان فضل العلم كقوله تعالى: «**قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا**»[3]، وفي الحث على التعلم كقوله تعالى: «**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة لتفقهوا في الدين**»[4]، وتمت معجزة الإسلام بالقضاء على ظلام الجهل والخرافة والأمية، ونشر مشاعل العلم والحكمة والحضارة والمعرفة في أرجاء المعمورة.

وفي وقت كان العلم محظورا على الرعاع من البشر، ومقصورا على طبقة الأشراف والنبلاء، أتى دين الإسلام بالأمر بالعلم، وفرضه على الجميع، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد خنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب**[5]"، وجعل العلم طريقا إلى الفوز بالجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة**"[6]، وجعل طالبه حبيبا للملائكة الذين يقومون بتأييده ومعونته، ولم تمض فترة وجيزة وصار كل بين .... قبلة وكل سوق مدرسة وانقلبت الصحاري والمراعي إلى منابع للنور والحكمة، ثم انطلق المسلمون إلى

---

[1] سورة العلق، الآية 01.

[2] سورة القلم، الآية 01.

[3] سورة الأنعام، الآية 148.

[4] سورة التوبة، الآية 122.

[5] إبن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت 273هـ/886م، سنن ابن ماجة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ج 01، ص 81.

[6] مسلم، مسلم النيسايوري ت 261هـ/874م، المسند الصحيح المقتصر، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن،ج04، ص 2074.

مشارق الأرض ومغاربها ينشرون هذا العلم بين الناس، وهذه هي الرسالة التي لخصها صاحبها محمد عليه الصلاة والسلام بقوله: "**إنما بعثت معلما**"[1].

المبحث الأول: أدابه في نفسه

المطلب الأول: الإخلاص وصدق النية

فعلى طالب العلم أن يقصد بذلك وجه الله تعالى لا لأجل أن يرتفع قدره عند الناس، أو يعرف بعلم، أو لمعلوم يأخذه به، أو لأن يترأس به على الجهال، أو لأن يشار إليه، أو لأن يسمع قوله عند الناس وغيرها من الحظوظ المذمومة شرعا التي تخرجه عن أن يكون خالصا لله تعالى، ألا ترى إلى ما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أخبارنا عن ربه عز وجل حيث يقول سبحانه وتعالى (لمن اتصف ببعض ما ذكرنا أغنى شركاء إذهب فخذ الأجر من غيري)[2]، فالعالم أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله وإذا كان أفضل الأعمال فيتعين تخليصه لله تعالى.

واعتبر المفكرون المسلمون النية أصلا من أصول التعلم، وشرطا يحفز للتعلم وفي هذا يقول الماوردي على طالب العلم أن يعقد النية على طلب العلم: "واتقاء الله، قاصدا وجه الله تعالى بنية خالصة وعزيمة صادقة"[3]، وعن مراقي الزلفي للقاضي أبي بكر بن العربي –رحمه الله تعالى– قال بعض السلف: "من طلب العلم لوجه الله لم يزل معانا ومن طلبه لغير الله لم يزل مهانا"[4].

فالنية روح الفعل، فإذا تجرد منها كان ميتا، يقول ابن جماعة: "حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله تعالى والعمل به وإحياء الشريعة، وتنوير

---

[1] إبن ماجة، سنن ابن ماجة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، ج 01، ص 83.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 122.

[3] الماوردي، المصدر السابق، ص 54.

[4] إبن الحاج، نفسه، ج 02، ص 123.

قلبه وتحلية باطنه، والقرب من الله تعلى يوم لقائه"[1]، فيجب على طالب العلم أن يتجنب أشياء في نيته حتى تكون خالصة ومنها:

- ألا يطلب العلم لمجرد كسب المال أو الهرة.
- ألا يطلب العلم ليرتفع قدره عند الناس أو لكسبه منزلة منهم.
- ألا يطلب العلم للمراء أو الجدال الذي ليس من ورائه طائل.

وبذلك تكون كل أعماله قاصدا بها رضا الله تعالى وحبه بقول الله تعالى: **«قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربي العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين»**[2]، فعلى الوالد أن يعلم أن يعلم ولده نية فإن غياب النية سم قاتل، فإذا جاءه شيء من غيب الله قبله على سبيل أنه فتوح من الله، فقد روي أن يحي بن يحي راوي الموطأ لما أن جاء إلى مالك ليقرأ عليه فقال له مالك: "اجتهد يا بني قد جاء شاب في سنك فقرأ على ربيعة فما كان إلا أيام وتوفي الشاب فحضر جنازته علماء المدينة ولحده ربيعة بيده ثم رآه بعد ذلك بعض علماء المدينة في النوم، وهو في حالة حسنة فسأله عن حاله فقال غفر الله لي، وقال لملائكته هذا عبدي فلان كانت نيته أن يبلغ درجة العلماء فبلغوه درجتهم فأنا معهم أنتظر ما ينتظرون قال فقلت وما ينتظرون قال شفاعة يوم القيامة في العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم"[3].

فعلى المتعلم أن لا يسعى لطلب المعلوم وفي زيادته ولا في الوقوف على الأبواب من يرجى ذلك منهم فإن فعل شيئا مما ذكرنا كان ذلك قدحا في نيته ووقع عليه الذم بنص الله تعالى بقوله: «يا أيها الذين أمنوا لم تقولون ما لا

[1] إبن جماعة، تذكرة السامع والمتعلم، ص 68.

[2] سورة الأنعام، آية 162-163.

[3] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 123.

تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»[1] ويقول القاضي أبي بكر ابن العربي: "**قد يكون العلم هلاكا على صاحبه إذا طلبه لغير وجه الله**"[2] فالرسول (صلى الله عليه وسلم) نهى في حديث صريح عن تعلم العلم لغير الله فيقول عليه الصلاة والسلام: "**من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة**"[3] وعن الحسن البصري قال: "**من طلب العلم ابتغاء الآخرة أدركها، ومن طلب العلم ابتغاء الدنيا فهو حظه منها**"[4].

فعلى طالب العلم تخليص النية لله تعالى وأن يقصدها لوجه الله تعالى.

المطلب الثاني: تقوى الله في السر والعلن

امتثالا لأوامر الله واجتنابا لنواهيه، فتقوى الله سبحانه خير أسباب توفيق الله وفضله، وفتحه على عباده في الفهم والعم قال تعالى: «واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم»[5]، قال القرطبي في تفسيرها: "**وعد من الله تعالى بأن تعالى بأن من اتقاه علمه، أي يجعل في قلبه نورا يفهم به ما يلقى إليه**"[6].

فإذا اتصف لمتعلم بتقوى الله كان الله عز وجل معلمه وهاديه، ومن كان الله تعالى معلمه وهاديه فلا يسال عن حاله، قال تعالى في كتابه العزيز: «**فلا تعلم**

---

[1] سورة الصف، آية 2-3.

[2] أبو بكر بن العربي، عارضة ألحوذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 10، ص 121.

[3] أبو داود سليمان بن الأشعث، السجستاني ت 275هـ/888م سنن أبي داوود،الكتاب العربي، بيروت، د-ت، 02، ص 439.

[4] الخطيب البغدادي، اقتصاد العلم العمل، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط 05، المكتبة الاسلامية، بيروت، 1404هـ/1983م، ص 66.

[5] سورة البقرة، آية 283.

[6] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين ت 671هـ/1272م، الجامع لأحكام القرآن، تفسير الطبري، تح: تحقيق أحمد البردوني وابراهيم أطيش، ط 03، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م، ج03، ص406.

نفس ما أخفي لهم من قرة أعين» وهذا لفظ عام قد يحصل للمتعلم نفائس من المسائل لا تأخذ بالدرس ولا بالشيوخ لأجل ما حصل من قوله ويعلمكم الله وأكد ما عليه في التقوى من اجتناب المحارم لقوله (صلى الله عليه وسلم): "**اتق المحارم تكن أعبد الناس**"، وقوله (صلى الله عليه وسلم): «وما نهاكم عنه فلا تقربوه»[1]، فالعلم والتعليم فتح من الله سبحانه وتوفيق فليكثر المتعلم من سؤال الله ودعائه أن يفتح عليه بالعلم النافع، ويوفقه للعمل الصالح، ويفهمه ما استغلق عليه من العلوم، وأن يزيده علما وفهما، قال تعالى: «**وقل ربي زدني علماء**»[2] قال عز وجل: «**ففهمناها سليمان وكلا أتينا حكما وعلما وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين**»[3]، وقال ابن مفلح –رحمه الله–: "**قال علي بن المدني قال لي أحمد بن حنبل إني لا أحب أن أصحبك إلى مكة فما يمنعني من ذلك إلا أني أخاف أملك أو تملني، فلما ودعته قلت يا أبا عبد الله توصيني بشيء قال نعم إلزم التقوى قلبك، واجعل الآخرة أمامك**"[4].

المطلب الثالث: الورع

وهو مجاهدة النفس عما حرمه الله أو ما فيه شبهة، سموا بالنفس وصيانة للعمل قال الفضيل بن العياض: "**الورع اجتناب المحارم**"[5]، عرف ابن مسكويه لورع بأنه: "**لزوم الأعمال الجميلة التي فيها كمال النفس**"[6]، والورع سبب لقبول

---

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 130-131.

[2] سورة طه، آية 114.

[3] سورة الأنبياء، آية 17.

[4] المقدسي، المصدر السابق، ج 02، ص 31.

[5] إبن عبد البر أبو عمر يوسف ت 463هـ/1071م، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ/1978م، ج 02، ص 103.

[6] إبن مسكوية أبو علي أحمد بن محمد ت 421هـ/1030م، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م، ص 18.

العلم وصلاح القلب "**فعلى طالب العلم أن يكون قويا واثقا بربه قوله تعالى:** «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور» **فيه إشارة إلى الورع في سبب الخيفة من الحساب والمناقشة يوم النشور، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم:** «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربعة عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه»"[1].

فوجب على المتعلم "أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه وبتحري الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه وفي جميع ما يحتاج إليه هو وعياله، ليستنير قلبه ويصلح لقبول العلم ونوره والنفع به، وخير من يقتدي به في الورع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث روي عنه أنه (صلى الله عليه وسلم) "م يأكل التمرة التي وجدها في الطريق خشية أن تكون من الصدقة مع بعد كونها منها"[2]، ومن ثمار الورع الانتفاع بالعلم إذا "كلما كان طالب العلم أورع كان علمه أنفع وتعلم له أيسر وفوائده أكثر"[3].

المطلب الرابع: آداب طالب العلم مع أهله

فهو قدوة لأهله، فيتعين عليه أن يتحفظ على تصرف أهله كما يتحفظ على تصرفه في نفسه كما تقدم، قال إبن الحاج –رحمه الله–: "**وينبغي لطالب العلم أن يتفقد أهله فيما يحتاجون إليه لأنه جاء لتعليم غيرهم طلبا لثواب إرشادهم، فخاصته ومن تحت نظره أكد، لأنهم رعيته، ومن الخاصة به كما سبق الحديث "كلكم راع ..." فيعطيهم نصيبهم فيبادر بتعليمهم أكد الأشياء في الدين أولا،**

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 125.

[2] إبن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص 75-76.

[3] الزنجوري، برهان الدين ت 600هـ/ 1203م، تعليم المتعلم طريق التعلم، تح: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن، 1989م، ص 92.

وأنفعها وأعظمها، فيعلمهم الإيمان والإسلام، ويجدد عليهم علم ذلك، وإن كانوا قد علموه، ويعلمهم الإحسان ويعلمهم الوضوء والإغتسال، وصفتهما، والتيمم والصلاة، وما في ذلك كله من الفرائض والسنن والفضائل، وكا ما يحتاجون إليه من أمر دينهم والأهم فالأهم"[1]، "وينبغي أن يشد مدة على مداومته على فعل السنن والرواتب وما كان منها تبعا للفرض قبله أو بعده، فإظهارها في المسجد أفضل من فعلها في بيته كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل، عدا موضعين كان لا يفعلهما إلا في بيته بعد الجمعة وبعد المغرب أما بعد الجمعة فلئلا يكون ذريعة لأهل البدع الذين لا يرون صحة الجمعة إلا خلف إمام معصوم، وأما بعد المغرب فشفقة على الأهل لأن الشخص قد يكون صائما فينتظره أهله وأولاده للعشاء ويتشوقون إلى مجيئه فلا يطول عليهم"[2]، وقال إبن الحاج رحمه الله: "**سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول لما أن تأهلت لت للزوجة لا تتحركي ولا تتكلمي بكلمة في غيبتي إلا وتعرضيها علي حين آتي لأني مسؤول عن تصرفك كله كنت مسؤولا عن نفسي ليس إلا وأنا الآن مسؤول عن نفسي وعنك فأسئل عن عشر صلوات ثم كذلك في جميع المأمورات وكل ما أنا مطالب به من الفضائل وغيرها حتى بالغ معها بأن قال أن نقلت الكوز من موضع إلى موضع فاخبريني به قال وذلك خيفة من أن تتصرف في شيء تظن أنه لا يترتب عليه حكم شرعي وقد يكون ذلك فيه فبقيت تخبرني بكل التصرفات إلى أن طال عليها ذلك فبقيت تخبرني بكل تصرفاتها**"[3].

---

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 209.

[2] أبو بكر حسن الكشناوي، أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 01، ص 180.

[3] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 210.

المبحث الثاني: أدابه في درسه

المطلب الأول: التوكل

التوكل في حقيقته هو "الثقة بما عند الله تعالى، واليأس عما في أيدي الناس"[1]، والتوكل محله القلب، ولا تنافي بينه وبين العمل، بعد أن يتحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى، والتوكل يقضي إلى كفاية الله تعالى لعبده قال تعالى: «**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**»[2]، وترك له خطورة على الإيمان الصحيح، والعمل واجب قبل التوكل، فقد روي أن رجلا جاء على ناقة له، فقال: يا رسول الله، أدعها وأتوكل، فقال (صلى الله عليه وسلم): "**أعقلها وتوكل**"[3].

وورد في حديث عنه عليه الصلاة والسلام قال: "**لو توكلتم على الله حق توكله رزقكم كما يرزق الطير في جو السماء تغدو خماصا وتروح بطانا**"، فأرشدنا صلى الله عليه وسلم بقوله هذا إلى ترك الأسباب الدنيوية والاشتغال بالأعمال الأخروية ثقة بالله تعالى ويكفا فإنه العليم الخبير الكريم"[4]. فعلى طالب العلم أن يتصف بهذه الصفة الحميدة ويخلص فيها، لأن في صدق التوكل في طلب العلم تحررا من العلائق الدنيوية، مما يساعد المتعلم أن تكون نيته خالصة لتعلم، وأن يكون العلم همه واهتمامه يقول الزرلوجي: "**لابد لطالب العلم من التوكل في**

---

[1] الجرجاني أبو الحسن علي بن محمد بن علي ت 816هـ/1413م، التعريفات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د-ت، ص 98.

[2] سورة الطلاق، آية 03.

[3] د.عبد اللطيف العبد، الأخلاق في الإسلام، ط 02، مكتبة دار العلوم، القاهرة، 1405هـ/1985م، ص 161-162.

[4] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 125.

طلب العلم ولا يهتم لأمر الرزق ولا يشغل قلبه بذلك، فإ، من اشتغل قلبه بأمر الرزق من القوت والكسوة قلما يتفرق لتحصيل مكارم الأخلاق ومعالي الأمور"[1].

وقال ابن الحاج رحمه الله: "**فإن احتج محتج بقول من غلب عليه الشغف بالأسباب فقال طيران طائر سبب في رزقه، فالجواب أن طيران الطائر في الهواء لا يماثل التسبب في الرزق لأن الهواء ليس فيه حب يلتقط ولا جهة تقصد، ألا ترى أنه ينزل في مواضع شتى ليس فيها شيء ولا عقل له يدرك به فدل على أن طيرانه في الهواء ليس من باب طلب الرزق وإنما هو من باب حركة يد المرتعش لا حكم لها فيتردد في الهواء حتى يؤتى رزقه إليه أو يؤتى به إلى رزقهوهذا الذي يتعين حمل طيران الطائر عليه أعني في أنه لاحكم له في الرزق ولا ينسب إليه لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماه توكلا مع طيرانه، ولذلك مثل به والعاقل المكلف أولى للمتوكل منه سيما من دخل في باب الاشتغال بأفضل الأعمال عقد الإيمان بالله تعالى وهو طلب العلم"**[2].

المطلب الثاني: العمل بالعلم

جاءت التربية الإسلامية ممثلة بكتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وأثار سلف الأمة ذامة ترك العمل بالعلم قل العلم أو أكثر، قال الله تعالى ذاما اليهود الذين علموا ولم يعلموا قال تعالى: «**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين**»[3].

[1] الزرنوجي، المصدر السابق، ص 99.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 126.

[3] سورة الجمعة، آية 05.

فحفظ من لم يعلم بعلمه كحظ الحمار من الكتب التي اثقلت ظهره، قال ابن القيم –رحمه الله– عن هذه الآية: "**فقاس من حمله سبحانه كتابه لؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعوا إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم ولا إتباع ولا تحكيم له وعمل بموجبه، كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حمله على ظهره ليس إلا؛ فحظه من كتاب الله كحظ الحمار من الكتب التي على ظهره**"[1].

وقال إبن الحاج –رحمه الله–: "**إذا دخل المكلف في عمل من أعمال الآخرة فمن شرطه أن يكون تابع للعلم فيه، كما قال (عليه الصلاة والسلام) وكما قال الإمام سهيل بن عبد الله لعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل وإذا كان كذلك فليحذر من تتبع عوائد كثير من الناس في هذا الزمان وما ركنوا إليه من أمور حدثت بعدهم لم تكن في صدر الأول والأخير كله منوط باتباع لهم وترك ما حدث بعدهم كيفما كان من اعتقاد أو علم أو عمل اللهم إلا أن يكون شيء قد ندر وقوعه فينظر فيه على مقتضى قواعدهم وفتاويهم**"[2]، ومما في ذم ترك العمل بالعلم قوله تعالى: «**يا أيها الذين أمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**»[3].

جاء في تفسيرها عند القرطبي قال: "**وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار عن ثمامة أن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بماريض من النار كلما قرضت**

---

[1] إبن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية ت751هـ/1350م، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد عبد السلام ابراهيم، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م، ج 01، ص 127.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 04، ص 286.

[3] سورة الصف، آية 2-3.

وفت قلت: من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء خطباء أمتك الذي يقولون ولا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعلمون وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له: حدثنا، فقال: أتروني أن أقول ما لا أفعل فاستعجل مقت الله"[1].

قال إبن الحاج رحمه الله: "**وقد قال الإمام أبو طالب المكي رحمه الله في كتاب القوت له وعن ابن مسعود أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع ويأتي بعدكم زمان يكون خيركم فيه المثبت المتيين عني لبيان الحق واليقين في القرن الأول ولكثرة الشبهات والإلتباس في زماننا هذا ودخول المحدثات مداخل الليل في الشر وقد أشكل الأمر إلا على الفرد الذي يعرف طرائق السلف فيتجنب الحدث كله**"[2].

المطلب الثالث: ترك التحاسد

قيل:"**لا يكون الرجل عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال: لا يحقر من دونه في العلم، ولا يحسد من فوقه في العلم ولا يأخذ على علمه ثمنا**"[3]، فحري بالمتعلم أن يأخذ بهذا التوجيه في علاقته مع زملائه، وليعترف عندئذ أن هناك فروق فردية بين المتعلمين، ويؤمن أن هذه الفروق بسبب ما وهبه الله لكل فرد، فلا يحسد المتعلم زملاءه لتفوق بعضهم عليه أو تقدمهم، بل يرضي ويعمل جهده في سبيل اللحاق بهم من خلال التنافس الشريف، قال ابن الحاج: "**إذ نظر بعضهم إلى بعض كيف فلان كذا وكذا وأنا أكثر منه بحثا وقد حفظت الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني ويقع بسبب ذلك بينهم شنئان واتصاف بالحسد وما شاكله وخرج ذلك إلى باب الأسباب الدنيوية ووقعوا بسببه في الوعيد الذي تقدم في الحديث عنه عليه**

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج 18، ص 80.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 04، ص 286.

[3] إبن عبد البر، المصدر السابق، ج 01، ص 131.

الصلاة والسلام من عمل من هذه الأعمال إلخ"[1]، والحسد كما ظهر مضرة لصاحبه، مضيعة لجهده ووقته،، يقول الزنجوري: "**وينبغي أن يكون صاحب العلم مشفقا ناصحا، غير حاسد، فالحسد يضره ولا ينفعه**"[2]، **يقول تعالى:** "**ومن شر حاسد إذا حسد**"[3].

ولا يحسد أحد منهم ولا يحتقرهم بل يرشدهم فبإرشادهم يبارك الله له في عمله وينير قلبه مع جزيل ثواب الله تعالى[4].

المطلب الرابع: المحافظة على الصحة الجسمية

أصبح من المتعارف عليه اليوم أنه ثمة عوامل فيسيولوجية تؤثر في نوع التعلم وكميته كالتعب أو الجوع أو المرض أو ضعف الحواس، "فالتعب يؤثر في دقة التمييز وإطراد الجهد، إضطراب مفرزات الغدد الصماء يؤثر في القدرة على التحصيل وفي درجة تركيز الانتباه، وقد يؤدي إلى البلادة والخمول والأمراض الجهازين الهضمي والتنفسي بوجه خاص أثر ملحوظ في إضعاف المقاومة العامة ودرجة التركيز"[5]، قال إبن الحاج العبدري –رحمه الله–: "**قصة معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما لما أن بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن يعلمان الناس الدين فافترقا لذلك ثم اجتمعا فقال أحدهما للآخر كيف تقرأ القرآن قال أقرؤه قائما وقاعدا ومضطجعا وأفوقه تفويقا ولا أنام وقال معاذ رضي الله عنه أما أنا فأقوم وأنام وأحتسب نومي كما أحتسب قومتي فلم يسلم أحدهما للآخر أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال عليه الصلاة**

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 128-129.

[2] الزنجوري، المصدر السابق، ص 85-86.

[3] سورة الفلق، آية 05.

[4] محمد بن ابرهيم، المرجع السابق، ص 87.

[5] أميمة علي خان، علم النفس، مطبعة العاني، بغداد، 1970م، ص 168.

والسلام لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه هو أفقه منك يعني معاذ الذي كان يحتسب نومه كقيامه لكن هذا بشرط يشرط فيه وهو أن يكون ماشيا على منهاجهم في تصرفاتهم لأي شيء كانوا يتصرفون وحسن نياتهم في ذلك كله"[1] ومن خلال ما ذكر إبن الحاج يظهر **أن الرسول عليه الصلاة والسلام اهتم بالراحة الجسمية، وذلك من خلال تخصيص وقت للنوم.**

كما أثبتت الدراسات الطبية الحديثة صحة ما ذهب إليه المفكرون المسلمون من أن الإنسان العادي يحتاج إلى أن ينام في اليوم مدة تتراوح من 6-8 ساعات يوميا، وإلا تعرض جسمه لتوترات عصبية، واختلال في عمل الكثير من أعضاء الجسم[2].

المبحث الثالث: أدابه مع معلمه

المطلب الأول: التواضع

التواضع صفة محمودة تدل على طهارة النفس، وتدعو إلى المودة والمحبة والمساواة بين الناس فينتشر بسببه الترابط بينهم ويمحي الحسد والبغض والكراهية من قلوب الناس، ويؤدي إلى رضا المولى سبحانه وتعالى، فعن عياض بن جمار، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد**»[3]، فبالتواضع ينال المتعلم حظه

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 132-133.

[2] ألكسندر بورلي، أسرار النوم، تر: أحمد عبد العزيز، ط 01، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص 163.

[3] أبو داوود، سنن أبي داوود، ج 04، ص 274.

من العلم، ويأمن كثيرا من الشرور والأذى، لذا قالوا: "**المتواضع من طلاب العلم أكثر علما كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء**"[1].

"**فينبغي لطالب العلم أن يكون تواضعه أكثر حتى لو صار توطأ كان قليل بالنسبة إلى ما هو يطلبه ولأن التواضع يقبل بالقلوب عليه وينشط من يعلمه لتعليمه وإرشاده والتواضع أصل كل خير وبركة كل شيء**"[2]، وقد أشار الإمام ابن مفلح –رحمه الله– إلى هذا الأدب الجم والخلق الرفيع فقال: "**وقال خلف: جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة فاجتهدت أن أرفعه فأبى وقال لا أجلس إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه**"[3].

ومن علامات التواضع للمعلم، أن لا يرفع المتعلم صوته على معلمه، فقد قال تعالى: «**وأغضض من صوتك**»[4]، أي أنقص منه، ومنه قوله غضضت بصري وفلان يغض بصره من فلانة.

المطلب الثاني: طريقة جلوس المتعلم

ينبغي على المتعلم أن يحسن الجلسة أمام معلمه ويأخذ الوضع الخاص بالمتعلم، بأن يكون المعلم في مكان متميز عن المتعلمين، قال ابن الحاج: "**وكذلك يتساوى عنده مواضع الجلوس في الارتفاع والانخفاض كل ذلك عند سواء فحيث أجلسه الله جلس وساقه الله إليه رضبه وشكره وما منعه من حمد على ذلك رأوه من ربه عز وجل عطاء، فإذا تقرر هذا من حاله انتفت عنه الشوائب المذمومة وبقي العلم خالصا لوجه الله تعالى وإذا صار العلم كذلك وصحبه العمل به جاء**

[1] إبن عبد البر، المصدر السابق، ج 01، ص 142.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 128.

[3] المقدسي، المصدر السابق، ج 03، ص 110.

[4] سورة لقمان، آية 19.

ميراثه العاجل وهو الخشية، قال تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء»[1]، وشريعة بدورها حثت على فضل البكور في أداء الأعمال، فقد جاء في سنن أبي داوود عن صخر الغامدي، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "**اللهم بارك لأمتي في بكورها**"[2]، والقرب من المعلم لا يحصل عليه المتعلم إلا إذا اتصف بالبكور في الذهاب إلى دور العلم، قال ابن الحاج: "**وينبغي له أيضا أن لا يكون في مجلسه مكان مميز لأحاد الناس بل كل من سبق لموضع فهو أولى به كما هو ذلك مشرع في العلاة**"[3].

وكلما كان المتعلم قريبا من المعلم كلما حاز بركة العلم أكثر من غيره، ولهذا ينبغي للمتعلم "**أن يتقدم على المدرس في حضور موضع الدرس ولا يتأخر إلى بعد جلوسه وجلوس الجماعة فيكلفهم المعتاد من القيام ورد السلام وربما فيهم معذور ...، وقد قال السلف: من الأدب مع المدرس أن ينتظره الفقهاء، ولا ينتظرهم**"[4].

المطلب الثالث: محاربة الأمراض الاجتماعية

التعليم عملية اجتماعية، والمدرسة من أهمل العوامل المؤثرة في الاستقرار الاجتماعي، وهناك أ/راض سلوكية تؤثر في الوسط المدرسي فيتأثر الوسط الاجتماعي، كالغيبة والنميمة والكذب وانتشار هذه الأمراض بسبب التفكك في المجتمع المدرسي فيتأثر بذلك المجتمع تباعا، ويقل التعاون بين أفراده، ويكثر التشاحن، فتضعف بذلك الرابطة الإجتماعية التي هي من مقاصد الشريعة الإسلامية.

---

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 130.

[2] أبو داوود، سنن أبي داوود، ج 03، ص 35.

[3] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 01، ص 1 ص 192.

[4] إبن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص 234-235.

وقد حذر إبن الحاج من أمرين خطيرين هما الغبية والنميمة والبهتان.

أ- البهت والغيبة:

جاء في لسان العرب: البهت والغيبة من الاغتياب واغتاب الرجل صاحبه اغتبابا إذ وقع فيه، وهو أن يتكلم خلف إنسان مستور بسوء، أو بما يغمه لو سمعه وإن كان فيه، فإن كان صادقا فهو غيبة، وإن كان كاذبا فهو البهت والبهتان، كذلك جاء عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولا يكون ذلك إلا من ورائه، والإسم: الغيبة، وفي التزيل العزيز: ولا يغتب بعضكم بعض، أي لا يتناول رجلا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه وإذا تناوله بما ليس فيه فهو بهت وبهتان[1]، يقول ابن الحاج: "**والغيبة أن تقول في غيبة شخص ما يكرهه وإن كان حقا، وأما إن كان ذلك القول باطلا فهو البهتان بعينيه، ألا ترى إلى قوله (صلى الله عليه وسلم) في حجة الوداع أي بلد هذا إلى أن قال فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا وفي شهركم هذا وستلقون ربكم ويسألكم عن أعمالكم إلى أن قال ألا هل بلغت ألا هل بلغت مرتين أو ثلاثا فأكد الأمر في الثلاث كما ترى**"[2]، وقال ابن مفلح -رحمه الله-: "**عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لما عرج بي مررت بقوم لهو أظفار من نحاس يخمسون وجوههم وصدورهم، فقلت يا جبريل من هؤلاء قال: الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**"[3].

وأعلم أن غيبة كل إنسان بحسب حاله، "**قال الشيخ الإمام أبو حامد الغزالي -رحمه الله- غيبة الصالحين في ثلاث منها أن يذكر شخص بين أيديهم فيقولون اللهم تب عليه وكذلك يقعون بسبب غيرتهم في الدين فيقولون فلان فعل كذا وكذا**

[1] إبن منظور، لسان العرب، ج 01، ص 656.

[2] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 131.

[3] المقدسي، المصدر السابق، ج 01، ص 34.

على سبيل الغيرة منهم في دين الله تعالى وكذلك شفقتهم ورحمتهم على بعض الناس فيقولون مسكين فلان واقع كذا وكذا مما يكره المقول فيه فإذا تقرر هذا وعلم فيحتاج المتعلم أن يكون متيقضا لهذه الأمور وشكلها ويتحفظ منها لأن بتحفظه يتحفظ من رآه أو علم حاله لأنه قدوة للمهتدين"[1].

ب- النميمة:

جاء في لسان العرب: "نمم: النَّمُّ: التوريش والإغراء ورفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد وقيل تزين الكلام بالكذب، التهذيبُ: النَّميمةُ والنَّميمُ هما الإسم، والنعتُ نَمَّامٌ، وأنشد ثعلبٌ في تعدية نَمَّ بعلى:

ونَمَّ عليك الكاشحون، وقيل ذا ... عليك الهوى قد نَمَّ، ولو نفع النَّمُّ.

ورجل نَمُومٌ ونَمَّامٌ ومِنَمَّ ونَمٌّ أي قَتَّاتٌ من قوم نمِّين وأنِمَّاء ونُمَّ، قال أبو بكر: قال العباس النَّمَّامْ معناه في كلام العرب الذي لا يمسك الأحاديث ولم يحفظها، من قولهم جلودٌ نَمَّةٌ إذا كانت لا تمسك الماء، يقال: نَمَّ فلان يَنِمُّ نَمًّا ما إذا ضيع الأحاديث ولم يحفظها"[2].

وعرفها ابن الحاج: "**فالنميمة أن تنقل حديث قوم إلى آخرين**"[3] ونقل ابن مفلح –رحمه الله– قوله: "**وعند البخاري ومسلم، وعند غيرهما في أوله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر**"[4].

---

[1] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 132.

[2] إبن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 592.

[3] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 131.

[4] المقدسي، المصدر السابق، ج 01، ص 39.

المطلب الرابع: إستمرارية التعليم وعدم الاكتفاء بخدمة العلم

إن مفهوم التعليم المستمر ليس مفهوما جديدا ساقته التربية الحديثة بل هو أصل من أصل التربية الإسلامية، إذ نادت التربية الإسلامية بالاستمرارية في التعليم فقال عز وجل: «**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**»[1]، والعلم من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل، وقد جاء في تفسير الآية عند القرطبي قال: "**معناه لا تفارق هذا حتى تموت**"، وقال أيضا في تفسيرها: "**والمراد استمرار العبادة مدة حياته**[2]"، **وقال لبيضاوي في تفسيرها:** "**والمعنى فأعيد ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة**"[3].

ولقد أعطى إبن الحاج –رحمه الله– مثالا عن ذلك قال: "**وقد كان بنو إسرائيل إذا أراد أحدهم أن يتعلم العلم انقطع للعبادة أربعين سنة حتى يصفوا بها قلبه، وينشرح صدره فحينئذ يأخذ في تعلم العلم ذلك لطول أعمارهم، وأما عن هذه الأمة فقد قال مالك رحمه الله: أدركت الناس وهم يتعلمون إلى أن يصل أحدهم أربعين سنة فينقطع للعبادة ويطوي الفراش**"[4]. وقال ابن مفلح في هذه القضية –رحمه الله–: **فنقل عن الثوري أنه قال:** "**لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا وقال أحمد نحن إلى الساعة نتعلم**"[5].

وخلاصة القول ان بعض آراء إبن الحاج العبدري –رحمه الله– التربوية عن آداب المتعلم التي ناد بها وكلها مبنية على القرآن الكريم والسنة النبوية، كما تأثر

---

[1] سورة الحجر، آية 99.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج 10، ص 64.

[3] البيضاوي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر ت 685هـ/1286م، أنوار التنزيل وأصرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، ط 01، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، ج 03، ص 218.

[4] إبن الحاج، المصدر السابق، ج 02، ص 133.

[5] المقدسي، المصدر السابق، ج 02، ص 156.

بآراء غيره من علماء المسلمين أمثال **أنس بن مالك** –**رحمه الله**–وغيره وقارنتها ببعض آراء العلماء المسلمين أمثال **ابن جماعة والنووي** وغيرهم وآراء هؤلاء العلماء وإن كانت ليست بدعة إلا أن لها تمام الفضل في حفظ التراث الفكري، فإبن الحاج –رحمه الله– آراؤه التي أوردها نقلها من كتب متنوعة دون ذكر أسمائها وأسماء مؤلفيها، ويعود ذلك لسعة اطلاعه على الكثير من الأخبار والروايات واستمد بعض معلوماته من العلماء والفقهاء والمؤرخون دون تصريح بأسمائهم إنما اكتفى بالإشارة إليهم.

خاتمة

الخاتمة

الحمد لله أولا و آخرا الذي يسر الأمور أعانني على إتمام هذه المذكرة الموسومة بـ: الفكر التربوي والتعليمي في مصر خلال العصر المملوكي من خلال نموذجا إبن الحاج العبدلي (648هـ-923هـ/1250-1517م)، خلصت إلى جملة من النتائج التي أجزها فيما يلي:

- لعب المماليك دورا بارزا في الدولة المملوكية، ومما يحتب لهم قهر لقوتين اللتين كانتا تؤرقان العالم الإسلامي، وهما الماغول والفرنجة، و إستحقت بكل جدارة لقب أقوى دولة في العالم الإسلامي خلال القرن السابع و الثامن الهجريين- الثالث عشر و الرابع عشر الميلادي.
- إنتقلت الخلافة العباسية إلى القاهرة عاصمة المماليك بعد سقوط بغداد 656هـ/1258م تحققت هذه الخطوة التي أقدم عليها المماليك نتائج سياسية وكان لها دور الفعال و المهم في إزدهار الحركة العلمية والثقافية والفكرية بمصر، من خلال توافد العديد من العلماء الذين فروا من المشرق الإسلامي بعد زحف المغول عليها، نظرا لما شهدته البلاد المصرية أنذاك من إستقرار سياسي و إنتعاش إقتصادي مقارنة بما شهدته البلاد الإسلامية من تدهور في كل جوانبها.
- إن تطور النهضة العلمية والفكرية والثقافية سمة من سمات العصر المملوكي، وهي نتاج لمدى إهتمام السلطنة الحاكمة المتمثلة في السلاطين بحركة التعليم و الرعاية وتشجيع لطبقة العلماء.
- إن عصر المماليك كان بحق العصر الذهبي في إنتشار التعليم ذلك نتيجة الإقبال الكبير الذي إشترك فيه السلاطين و الأمراء و الأغنياء ولمن له القدرة من العلماء والتجار على حد سواء في إنتشار المدارس حتى كثرت

و تعددت بحيث لا يمكن حصرها، كذلك أمعن منشؤها في الصرف على بنائها وتوفير الأساتذة الأكفاء.

- وما ميز ذلك العصر وجود الإجازات العلمية وتطورها، كما شهدت مصر تطورا في حركة التأليف، التي كان من أبرزها مظاهر النشاط العلمي في العصر المملوكي، فتنوعت المؤلفات وتعددت فكان لكل علم نصيب من هذه المؤلفات، فهي تعد حلقة فصل بين الماضي والحاضر، ولعلى من أبرز ماتميزت به حركة التأليف هو ظاهرة الموسوعات، حيث وصفت كتب جامعة واسعة النطاق، تقوم على أساس جمع علوم وفنون مختلفة في مؤلف واحد ضخم .
- ومن مؤلفي العصر المملوكي إبن الحاج العبدلي الذي ولد في مدينة فاس، فهو مغربي الأصل و تلقى بعضا من معارفه في المدينة التي ولد فيها، ودرس على يد أعلامها و علمائها، ورحل عنها فكانت وجهته مصر التي إزدهرت فيها الحياة الفكرية و العلمية في عصر السلاطين المماليك، إذ وجد فيها إبن الحاج بقيته من العلماء في مختلف العلوم والمذاهب، والذين قدموا مصر من مختلف أقطار الوطن العربي، بعد سقوط بغداد وزحف التتار على بلاد الشام حيث نزح إليها عدد كثير من العلماء وطلاب العلم.
- عد إبن الحاج من أبرز المؤرخين القدرين الذين كتبوا عن أداب تربوية عديدة للعالم و المتعلم في جوانب التربية والتي ذكرها في كتابه "المدخل إلى الشرع الشريف" ،وما مدى أهميتها لإنجاح العمليتين التربوية و التعليمية.
- إن الأداب التي ذكرها إبن الحاج رحمه الله، يمكن إتخاذها قواعد لمهنة التربية و التعليم في عصرنا الحاضر و التي يمكن الإستفادة من خلالها في برامج إعداد المعلم وتهيئة المتعلم.

- حذر إبن الحاج من الأمراض الإجتماعية التي تسبب الفرقة في المجتمع المدرسي كالغيبة و النميمة والكذب، مما ينعكس أثره سلبا على المجتمع بشكل عام.
- كما حذر رحمه الله من الآفات التي تحدث سلبية على البيئة المدرسية كالتعصب أو التكسب بالعلم أو عدم المساواة في التعليم.
- إهتم إبن الحاج بالتفاعل بين المعلم و الطلاب، من خلال حسن الإستماع و الإنصات للدرس وفتح المجال من المعلم للسؤال و المناقشة، وأدب السؤال من المتعلم.
- كما إهتم بالجانب الأخلاقي عند المعلم و النتعلم كي تسود الألفة بينهم، ويستفيد الجميع من الجميع.
- وإهتمامه أيضا بالصفات الخاصة للمتعلم من الإستمرارية في التعليم، وصفات العالم من خلال بشاشته عند اللقاء وحسن سمت .
- كما أنه لا يمكن الرقي و النهوض بالعملية التعليمية إلا بالتكاتف بين العاملين في الحقل التعليمي.
- الطريقة التي بنى عليها إبن الحاج رحمه الله كتابه تعتمد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لذا جاء الكتاب بمجمله محققا للتربية الإسلامية المتوازنة والمتكاملة والصالحة لكل زمان ومكان .
- إن أخذ الأجرة على التعليم من المواضيع المختلف عليها بين علماء التربية المسلمين بين المانع و المجيز، ومن بينهم الذهبي الذي وقف موقف هو أقرب الى الإجازة فقسم أخذ الأجرة على حسب حالهم، أما إبن الحاج فكان يرى أن طلب المال ضعف ويخشى من أن يؤثر على موضوعيته وسمعته حتى تكون أهدافه نقية ونيته السليمة، فالعالم مطلوب لا طالب.

و أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت في هذا العمل لإعطاء صورة عن الفكر التربوي و التعليمي في مصر خلال العصر المملوكي، والله المستعان، وهو ولي التوفيق و السداد و الصلاة و السلام على رسول الله و الحمد لله ربي العالمين أولا و أخيرا.

الملاحق

المـــلاحـــــــق :

الملحق الأول : خريطة تبين موقع جزيرة مصر والجامع الأزهر والطولوني .

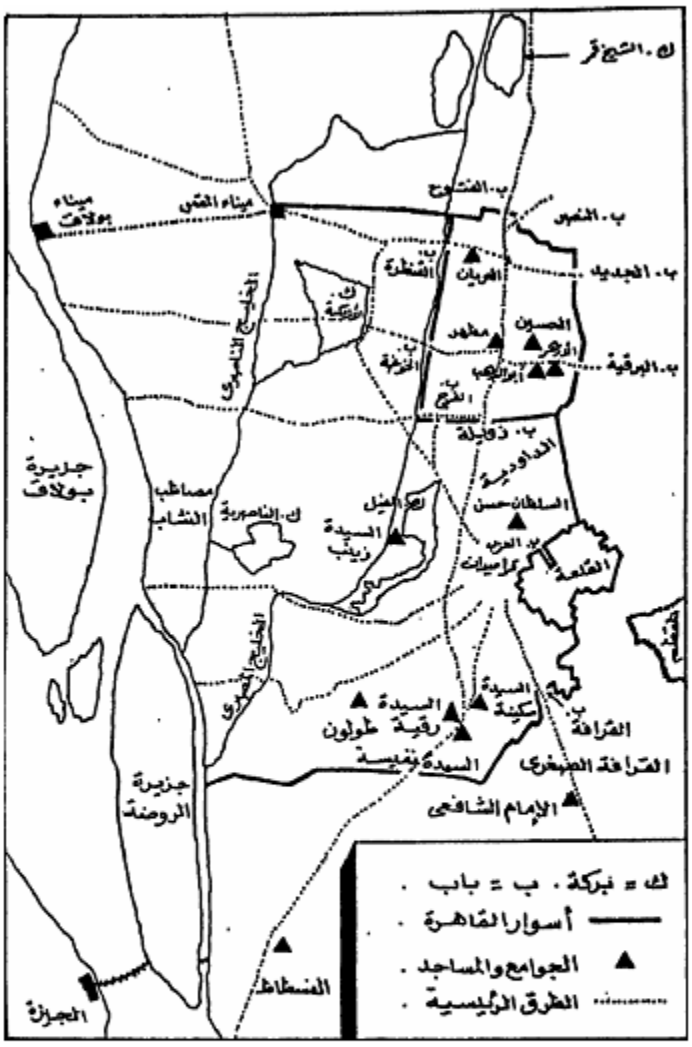

الخشاب إسماعيل بن سعد، **أخبار أهل القرن الثاني عشر**، تحقيق: عبد العزيز جمال الـدين وعماد أبو غازي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01 ، يناير1990م ، ص45 .

المـــلاحـــــــق :

الملحق الثاني: جدول بأسماء سلاطين الدولة المملوكية الأولى (648-784هـ/1250-1382م)[1]

اسم السلطان	فترة الحكم
شجرة الدر	648هـ/1250م
المعز أيبك التركماني	648- 651هـ/1250-1258م
المنصور علي بن أيبك	655- 657هـ/1257-1258م
المظفر سيف الدين قطز	657- 658هـ/ 1258-1260م
الظاهر ركن الدين بيبرس	658-676هـ/1260-1277م
السعيد بركة خان ابن بيبرس	676- 678هـ/1277-1279م
العادل سلامش بن بيبرس	678هـ/1279م
المنصور سيف الدين قلاوون	678-689هـ/1279-1290م
الأشرف خليل بن قلاوون	689- 693هـ/1290-1293م
الناصر محمد بن قلاوون	693-694هـ/1293-1294م

[1] – تم إنشاء جدول سلاطين المماليك بالرجوع إلى بعض المصادر مثل: المقريزي: **السلوك**، **الخطط**، ابن تغري بـــردي، **النجوم الزاهرة** ، ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل في ذيل الدول**، ابن إياس، **بدائع الزهور**.

المـــلاحـــــق :

العادل زين الدين كتبغا	694-696هـ/1294-1296م
المنصور حسام الدين لاجين	696- 698هـ/1296-1298م
سلطنة الناصر محمد ابن قلاوون الثانية	698-708هـ/1298-1308م
المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	708-709هـ/1308-1309م
سلطنة الناصر محمد الثالثة	709- 741هـ/1309-1341م
المنصور محمد بن قلاوون	741-742هـ/1341م
الأشرف كجك بن محمد بن قلاوون	742هـ/1341م
الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون	742- 743هـ/1342م
الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون	743-742هـ/1342-1345م
الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون	746-747هـ/1345-1346م
المظفر حاجي بن محمد ابن قلاوون	747هـ/1346-1347م
الناصر حسن بن محمد بن قلاوون	748-752هـ/1347-1351م

المـــلاحـــــــق :

	752-755هـ/1351-1354م
سلطنة الناصر حسن الثانية	755—762هـ/1345 -1361م
المنصور محمد بن حاجي بن محمد بن قلاوون	762-674هـ/1361 -1363م
الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون	764-778هـ/1363-1376م
المنصور علي بن شعبان بن حسين	778- 783هـ/1376-1381م
الصالح حاجي بن شعبان بن حسين	783-784هـ/1381-1382م

المـــلاحـــــــق :

الملحق الثالث: جدول بأسماء سلاطين دولة المماليك الجراكسة (**784-923هـ/1382-1517م**) .

اسم السلطان	فترة الحكم
الظاهر برقوق بن أنص العثماني	784-791هـ/1382-1388م
سلطنة الصالح حاجي الثانية	791-792هـ/1388 -1389م
سلطنة الظاهر برقوق الثانية	792-801هـ/1389-1398م
الناصر فرج بن برقوق	801-808هـ/1398-1405م
المنصور عبد العزيز بن برقوق	808هـ/1405م
سلطنة الناصر فرج الثانية	808-815هـ/1405-1412م
الخليفة المستعين بالله العباسي	815هـ/1412م
المؤيد شيخ المحمودي	815- 824هـ/1412-1421م
المظفر أحمد بن شيخ	824/1421م
الصالح محمد بن ططر	824- 825/1421-1422م
الأشرف برسباي الدقماقي	825-841هـ/1422-1437م

المـــلاحـــــق :

العزيز يوسف بن برسباي	841- 842هـ/1437-1438م
الظاهر جقمق الظاهري	842 -857هـ/ 1438 -1453م
المنصور عثمان بن جقمق	858 – 858هـ/1453م
الأشرف إينال العلائي	858 – 865هـ/ 1453 – 1460م
المؤيد أحمد بن اينال	865 – 865هـ/ 1460م
الظاهر خشقدم الناصري	865- 872هـ/ 1490 – 1467م
الظاهر تمربغا الظاهري	872 – 872هـ/ 1467م
الاشرف قايتباي المحمودي	872 -901هـ/ 1467 – 1496م
الناصر محمد بن قايتباي	901 – 902هـ/ 1496 – 1497م
قانصوه خمسمائة	902هـ/1497م
سلطنة الناصر محمد بن قايتباي الثانية	902 – 904هـ/ 1497 – 1498م
الظاهر قانصوه الأشرفي	904 -905هـ / 1499م
الاشرف جانبلاط	905 -906هـ/ 1499 – 1500م

المـــلاحـــــــق :

العادل طومان باي 01	906 –906/ 1501م
الاشرف قانصوه الغوري	906 – 922هـ/ 1501 – 1516م
الاشرف طومان باي 02	922 – 923هـ/ 1516 – 1517م

قائمة المراجع

- **القرآن الكريم**

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر

1. إبن الأثير علي بن محمد ت 630هـ /1233م، الكامل في التاريخ، تح: عمر تدمري، ط 01، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، 1994م، ج 10.
2. أبو شامة شهاب الين المقدسي ت665 هـ /1267م، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، تح: محمد أحمد و محمد مصطفى زيادة ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة، 1962م، ج 01 ، ص680، المقريزي، السلوك، ج 01.
3. إبن دقماق ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء و الملوك و السلاطين، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، 1992م.
4. -البرازلي ، الوفيات ، ضبط وتعليق : أبو يحي عبدالله الكندري ، ط01، غراس للنشر و التوزيع ، الكويت 1426ه/2005م/ص207، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج03.
5. -البرازلي مشيخة إبن جماعة، ج01، ص434-436، الذهبي، تاريخ اللإسلام، ج49. .
6. البغداد صفي الدين بن عبد الحق ت 734 هـ/1338م، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع، تح: محمد علي البجاوي، ط 01، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م، مج .
7. الحسيني عز الدين ، صلة التكملة لوفيات النقلة ، ضبط النص و علق عليه أبو يحي عبدالله الكندري ط01 ، ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، (1426ه/2005 م)
8. العمري شهاب الدين إبن فضل الله العمري ت 742هـ/1341م، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ، 1312هـ.
9. القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض الأندلسي اليحصبي السبتي المالكي ت 544ه /1149م ،الإجماع إلى معرفة أصول الرواية و تقييد السماع ،تح:السيد أحمد الصقر، ط01، دار التراث ، القاهرة ومكتبة العتيقة ، تونس ، 1379ه/1950م

10. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي الفزاري، ت 821هـ/1417م، نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتب المصري – دار الكتب اللبناني ، القاهرة – بيروت، 1990م .
11. زكرية بن محمد ، أثار البلاد و أخبار العباد ، دار الصادر، بيروت، د–ت،.
12. المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، تح : محمد عبد القادر و مصطفى عبد القادر ، ط01، دارالكتب العلمية 1992م،ج08.
13. صارم الدين بن دقماق ، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام ، تح : سميرة طبارة، المكتبة العصرية ، بيروت، 1990م، ص210، إبن خلدون، العبر، ج05،.
14. بدر الدين العيني ،عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح : محمد أمين، دار الكتب، القاهرة، 1978م، ج01، ص165، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك،ط01، دار الشروق، قاهرة، 1415هـ/1994م.
15. ابن خلدون أبوزيد عبد الرحمان بن محمد ، الحضرمي، الإشبيلي ت 808هـ/1405م، العبر و الديوان المبتدأ و خبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر الشهير بتاريخ إبن خلدون، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981م، ج05.4
16. إبن الحاج أبو عبدالله محمد بن محمد العيدري الفاسي المالكي ت737ه/1336م، المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة د–ت،ج01.
17. ابن فرحون ، إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري ت 799هـ/1396م ، الديباج المذهب.
18. ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشافعي ت833 ه/1423مغاية النهاية في طبقات القراء نتح:ج بر جستراسر ، ط01، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2006م ، ج01.
19. الترميذي أبو عيسى محمد ، الجامع الصحيح سنن الترميذي ، تح : أحمد محمد شاكر ، دار غحياء التراث العربي ، بيروت ، د–ت ، ج03 ، ص486، البرازلي ، المصدر السابق ، ج01 .
20. أبو عبد الله محمد بن عبد الله إبراهيم اللواتي الطنجي،ت779ه،رحلة ابن بطوطة المعروفة بلا تحفة النظار في غرائب الأمطار،الرباط1996م،ج01.

21. القلقشندى،مآثر الإناقة في معالم الخلافة،تج،عبد الستار أحمد فرج،عالم الكتب،بيروت،ج02،ص118،محمد طاهر حمادة،دارسة وثائقية للتاريخ الإسلامي ومصادره،ط01،مؤسسة الرسالة،بيروت،1408ه/1988م.
22. الفاسي،شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام،ط1،دار الكتب العلمية،(بيروت-2000م)،ج2،علي،جواد،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ط4،دار الساقي،(بيروت-2001م)،ج15.
23. الجبرتي،عبد الرحمان بن حسن(ت1238ه)،تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار،دار الجيل،(بيروت-د.ت)،ج1.
24. الخطيب البغدادي: رحلة في طلب الحديث تح ، نور الدين عنتر، ط 01 دار الكتب العلمية، بيروت ، 1395 ه / 1975 م.
25. البرازلي علم الدين القاسم بن مهدبن يوسف ، مشيخة قاضي القضاة شيخ الاسلام بدر الدين ابي عبد الله محمد بن ابراهيم ابن جماعة المتوفي سنة 733ه دراسة تح : موقف عبد الله بن عبد القادر ط01 / دار الغرب الاسلامي / بيروت /1408ه /1988م /ج02 .
26. ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي ت 456هـ/1064م، جمهرة انساب العرب ، تح : لجنة من العلماء ، ط11 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - 1983م ، ص 125، السمعاني أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور، ت 562ه/1167م ، الأنساب ، تح : عبد الرحمن بن يحيى وآخرون ، 01 ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند - 1992م ، 09،
27. الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت 748ه 1346م، العبر في خبر من غير ، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، د.ت ، ج04 .
28. ابن أبيك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغزو في سيرة الملك،الناصر،تج،هانس روبرت،رويمر،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1960،ج09.
29. السيوطي،حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،محمد أبو الفضل إبراهيم،ط01،دار إحياء الكتب العربية،عبد البابي وشركاه،مصر،1387م،ج02.

30. العيني،أبو محمد بن أحمد ت855ه،عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان،تح،محمود رزق محمود،ط02،دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة،2010،ج01.
31. العبدي بدر الدين،السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي،تج،فهيم محمد علوي شلفوت،ط02،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة،1998م.
32. ابن طولون الدمشقي،مفاكهة الخلان في حوادث الزمان،وضع حواشية،خليل المنصور،ط01،دار الكتب العلمية،بيروت،1414ه/1998م. .
33. السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان،ت902ه،الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،نشر دار الكتاب الإسلامية،القاهرة،د.ت،ج01،ص246 .
34. ابن أبي زرع،أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت841ه)،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،دار المنصور،(الرباط-1982م)
35. ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشافعي ت 833هـ/1423م، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: ج، برجستراسر، ط 01، دار الكتب العلمية بيروت، 2006م، ج 01.
36. ابن الحاج،محمد بن محمد العبدري،(ت837)،المدخل،دار الفكر،(القاهرة-1989م)،ج1،ص8 .
37. ابن الطقطقا محمد بن علي بن الطيطبا ت 701هـ/1302م، الفخري في الأداب السلطانية والدول الاسلامية ،دار صادر بيروت د-ت ص 18.
38. ابن القاضي أبي العباس احمد بن محمد المكناسي ت 960هـ/1553م ، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال ، تح : محمد الأحمدي ، ط01 ، مكتبة دار التراث ،القاهرة - 1971م، ج02.
39. إبن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية ت751هـ/1350م، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد عبد السلام ابراهيم، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م، ج 01.
40. ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي ت 804هـ/1401م ، طبقات الأولياء ، تح: نور الدين شريعة ، ط 02 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - 1994م.

41. إبن إياس أبو البركات محمد بن أحمد ت 930هـ/1523م، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصريةالعامة للكتاب ، القاهرة، 1404هـ /1984م، ج03، ص 347

42. ابن تغردي بردي،مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة،تحقيق:نبيل محمد،دار الكتب المصرية،(القاهرة–د.ت)،ج4،2

43. ابن تغري البردي،المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي،تج،دنبيل عبد العزيز،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1985م،ج03،ص447–448.

44. إبن تغري بردي أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي ت 874هـ /1470م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دار الكتب ، مصر، د – ت، ج 02.

45. إبن جماعة، بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني الشافعي ت 733هـ/1332م، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ط03، اعتنى به محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الاسلامية، بيروت، 1430هـ/2008م،.

46. ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج05 ، ص507 الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي ت 1396هـ/1976م ، الأعلام ، ط15 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002م ، ج07، ص35؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج11، ص284 .

47. ابن حنبل ، أبو عبد الله احمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني ت 241 هـ ، مسند احمد بن حبل ، تح : شعيب الأرناؤوط وأخرون ، ط01 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – 2001م ، ج14

48. إبن خلدون التعريف بإبن خلدون ورحلته شرقا و غربا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981م.

49. إبن خلكان أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الأربيلي ت 681هـ/1282 م ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، ط01 ، دار صادر ، بيروت – 1971م ، ج04 .

50. إبن دقمان ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء و الملوكو السلاطين ، ص248–250، إبن تغري البردي، النجوم الزهراء، ج06.

51. إبن دقمان، إبراهيم بن محمد ت 809هـ /1406م، الجوهر الثمين في سير الخلفاء و الملوك و السلاطين ، تح : سعيد عاشور ، مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى، السعودية ، د- ت.
52. ابن رافع تقي الدين محمد بن هجرس السلامي (ت774ه/1374م)، الوفيات، تح: صالح مهدي عباس ود.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402ه، ج02 .
53. ابن صلاح ابو عمر وعثمان بن عبد الرحمن 6 ه / 1245م ، معرفه أنواع العلوم الحديث ويعرف بمقدمه ابن صلاح ، تح : نور الدين عنتر، دار الفكر سوريا ودار الفكر المقاصر، بيروت ، 1406، ه / 1986 م.
54. إبن عبد البر أبو عمر يوسف ت 463هـ/1071م، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ/1978م، ج 02، ص 103.
55. ابن عبد الحق صفي الدين عبد المؤمن بن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي ت 739هـ،/1338م، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ط01 ، دار الجيل ، بيروت -1991م، 03.
56. ابن فرحون ، ابراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري المالكي ت799ه /1396م ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح و تعليق: د، محمد الأحمدي أبو االنور ، دار التراث للطبع والنشر ، القاهرة د.ت ،ج02 ، 3 .
57. ابن فرحون ، الديباج ، ص328، الفاسي ، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، تح: كمال يوسف الحوت ، ط01 ، دار الكتب العلمية ، بى روت ، 1990م ، ج 01
58. ابن فرحون،الديباج المذهب،ص328،(وقد نص على إن المؤلف سماء بذلك)،كحالة،معجم المؤلفين،ج11،ص284 .
59. إبن قاضي شهبة تقي الدين أبو بكر أحمد لاسدي ت 851ه /1448م ، تاريخ إبن القاضي شهبة ، تح : عدنان درويش طباعة مشتركة بين المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، و الجفاق و الجابي لطباعة و النشر ، قبرص ، 1994 / مج 03/ج02 .

60. إبن كثير (أبو الفداء بن عمر بن كثير الدمشقي ت774هـ/1372م ،البداية و النهاية، تح، علي شيري، ط 01، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1988م، ج10.
61. إبن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت 273هـ/886م، سنن ابن ماجة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ج 01.
62. إبن ماجة، سنن ابن ماجة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، ج 01.
63. إبن مسكوية أبو علي أحمد بن محمد ت 421هـ/1030م، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م.
64. إبن مفلح أبو عبد الله محمد شمس الدين المقدسي الحنبلي ت 763هـ/1361م، الأداب الشرعية و المنح المرعية ، ط04، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1426هـ/2005م، ج 02.
65. إبن منظور محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ت 711هـ/1311م لسان العرب ،دار الصادر،بيروت،ط03 ،1414هـ ج03، ص270، ج10.
66. ابن منظور،محمد بن مكرم علي بن أحمد بن حقبة الأنصاري الإفريقي (ت811ه)،لسان العرب،ط3،دار صادر،(بيروت-1994م)،ج3.
67.
68. أبو القاسم عبيد الله بن خرداذية ، المسالك و الممالك ، طبعة ليدن، 1889، ص 82-84 المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي الحسيني ت 845هـ/ 1441م ،المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الأثار المعروف بخطط المقرير، ط02، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م، ج01.
69. أبو الوفاء،أبو محمد عبد القادر بن محمد القرشي(ت885)،الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية،تحقيق:مير محمد(كراتشي-د.ت)،ص85،الفاسي،ذيل التقييد،ج1.
70. أبو بكر بن العربي، عارضة ألحوذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 10.
71. أبو بكر حسن الكشناوي، أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 01.

72. أبو بكر محمد زكريا، الشرك القديم و الحديث، الرياض، المملكة العربية السعودية ، 1421هـ/2000م، ج02،
73. أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت إلى تلميذه يوسف بن خالد السمتي البصري، مطبعة مصطفى اليابي الحلبي وأولاده، 1936، ص 10
74. أبو داود سليمان بن الأشعث، السجستاني ت 275هـ/888م سنن أبي داوود،الكتاب العربي، بيروت، د-ت، 02، ص 439.
75. أحمد القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس، دار المنصورة، رباط،1973م.
76. أحمد القاضي المكناسي أعيان العصر و أعوان الشعر ن تح: د. علي ابو الزيد وآخرون ،ط01، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودارالفكر، دمشق ن 1418ه/1998م ، دج03.
77. ألكسندر بورلي، أسرار النوم، تر: أحمد عبد العزيز، ط 01، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992،
78. البخاري،أبو عبد الله محمد بن سماعيل بن المغيرة الجعفي،(ت258ه)،صحيح البخاري،تح:محمد زهير بن ناصر،ط1،دار طوق النجاة،(بيروت-1422ه)،ج4.
79. البطاوي،حسن احمد، اهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك،ط01 عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ،القاهرة،2007م ص 144.
80. البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي ت 487 هـ/1994م، المسالك و الممالك، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992م، ج02.
81. البلوي خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، كتاب إلكتروني موجود على المكتبة الشاملة .
82. بيبرس الدوادار،زبدة الفكر في تاريخ الهجرة،تج،دونالدس،رينتشاردز،الشركة المتحدة للتوزيع،بيروت،1419ه/1998م
83. البيضاوي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر ت 685هـ/1286م، أنوار التنزيل وأصرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، ط 01، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، ج 03.

84. الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ت 279هـ/892م ، سنن الترمذي ، ط 02، باب: في فضل أزوج النبي صلى الله عليه وسلم، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ/1975م، ج 07، .
85. التنبكتي أحمد بابا بن أحمد ت 1036هـ/1652م، نيل الابتهاج بتطريز الديباج عناية وتقديم: د.عبد الحميد عبد الله المهرامة، ط 02، دار الكتاب ليبيا- طرابلس، 2000م.
86. الجرجاني أبو الحسن علي بن محمد بن علي ت 816هـ/1413م، التعريفات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د-ت.
87. الحجي،حياة ناصر،صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك،ط01،دار القلم،الكويت،1992.
88. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية ، ط02، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة، 1958م، ص 82 ، النويري، نهاية الأرب، ج 28.
89. حمدي عبد المنعم،دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك،دار المعرفة الجامعية،مصر،2000.
90. حمزة عبد اللطيف،الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول،ط8،دار الفكر العربي،(القاهرة-1986م).
91. الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ت900هـ ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح :إحسان عباس ، ط02 ، دار السراج ، بيروت , 1980م.
92. الخطيب البغدادي، اقتصاد العلم العمل، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط 05، المكتبة الاسلامية، بيروت، 1404هـ/1983م، ص 66.
93. الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية ، تح: أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، د.ت
94. الديار بكري،حسين بن محمد بن الحسن(ت922ه)،تاريخ الخميس في أحوال النفس النفيس،دار صادر،(بيروت-د.ت)،ج2،ص382،الزركلي،الأعلام،ج4.
95. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،دار المنصور،(الرباط-1982م)
96. الذهبي ، ذيل تاريخ الإسلام ، اعتنى به : مازن بن سالم ، دار المغني ، الرياض ، د-ت ، ج 52،
97. الذهبي ، معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار ،تح: بشار عواد معروف و آخرون ،ط01 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1404هـ، ج02،

98. الذهبي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ت 748هـ/1347م، سير أعلام النبلاء، تح مجموعة من المحقيقين، ط03، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.
99. الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ت 666هـ، مختار الصحاح، تح، يوسف الشيخ محمد، ط05، الدار النموذجية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1999م
100. الرازي،زين الدين،أبو عبد الله محمد بن أبي عبد القادر الحنفي(ت222ه)،مختار الصحاح،تح:يوسف الشيخ محمد،ط5،الدار النموذجية،المكتبة العصرية،(بيروت-1999م)
101. الزركلي،الأعلام،ج01،ص324،ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي محمد بن أحمد العسقلاني،ت782ه،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،ت:محمد عبد المعيد خان،ط03،دار المعارف العثمانية،حيدر أباد،1972م،ج01.
102. الزنجوري، برهان الدين ت 600هـ/ 1203م، تعليم المتعلم طريق التعلم، تح: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن، 1989م.
103. سالك أحمد معلوم ، الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي، ط 02، مكتبة لينة، 1413 هـ/1993 م، ص 260.
104. السبخاوي،التبر المسبوك في ذيل السلوك،مكتبة الكليات الأزهرية،القاهرة،د.ت،ص415 .
105. السخاوي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمان ت 902هـ/1496م، الضوء اللامع ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د-ت، ج03 .
106. سركيس ، يوسف بن أليان بن موسى ت 1351 ه ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مطبعة سركيس ، القاهرة - 1928م، ج01 .
107. السلاوي،شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري(ت1315م)،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،تحقيق:جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب،(بيروت-د.ت)،ج2،ص248-278،الزركلي،الأعلام،ج8.
108. سليم ،محمود رزق الادب العربي وتاريخه في عصر المماليك العثمانية والعصر الحديث ،مطابع دار الكتاب العربي ،القاهرة،1377ه/1957م .

109. السيد الباز العريني، المماليك، دار النهضة العربية، بيروت ، 1967م، ص84-264.
110. السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر أبو الفضل ت 911هـ/1505م ، تاريخ الخلفاء ،، تح: حمدي الدمرداش، ط01، مكتبة نزارمصطفى الباز، 2004م.
111. السيوطي،تاريخ الخلفاء،تحقيق:حمدي الدمرداش،ط1،مكتبة نزار مصطفى الباز،(د.م-2004م).
112. شمس الدين أبو المعني محمد بن عبد الرحمان بن الغزي ت 1167هـ/1753م، ديون الإسلام، تح: سيد كسروي حسن، ط01، ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1990م،ج02.
113. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ت746 هـ/1362م تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من خلفاء و الملوك و النواب ، تح : إحسان بنت سعيد الخلوصي ، زهير حميدان ، ط 02 ، دار صادر ، بيروت 1999م.
114. الصفدي،أعيان العصر وأعوان النصر،تج،علي أبو زيد وأخرون،ط01،دار الفكر،بيروت،1998م،ج04،ص162 .
115. الصفدي،صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله(ت824ه)،الوافي بالوفيات،تحقيق:أحمد الأرناوط وتركي مصطفى،دار إحياء التراث،(بيروت-2000م)،ج10.
116. صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله صفدي ت 764هـ/1362م، الوافي بالوفيات، تح: الأرناؤوط التركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت،1420هـ/2000م،ج.
117. الطبقات السنية في تراجم الحنفية،تج،عبد الفتاح محمد الحلو،مطابع الأهرام،القاهرة،1970،ج02،ص266،الزركلي،الأعلام،ج02.
118. عبد الله الشرقاوي ، تحفة الناظر ين في من ، ولي مصر من الملوك و السلاطين ، تح: رحاب عبد الحميد القاري، مكتبة مدبولي، القاهرة 1416هـ/1997م، ص 154، المقريزي ، السلوك، ج01
119. العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب باب الغيبة، ج 10، ص 576.

120. العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يفيض العلم، ط 01، الرياض، 1421هـ، ج 01.

- العلموي، الشيخ عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي ت 981هـ/1073م، المعيد في أدب مفيد والمستفيد، وقف على طبعه أحمد عبيدة، ط 01، المكتبة العربية، دمشق، 1249هـ.

121. علي بن محمد بن سعيد الزهراني. الحياة العلمية في حقليه الإسلامية (212 – 184هـ / 826 – 1091 م) رسالة دكتوره ، قسم الدراسات العليا التاريخية ،جامعة أم القرى، مكة المكرمة،1417 ه- 1996م.

- العيقوبي، أحمد بن واضح، البلدان تح، محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

122. الغزالي، الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت 505هـ/1111م، إحياء علوم الدين، ط01، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ،/2005م.

123. الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني المكي ت 832ه /1428م ، ذيل التغيير في رواية السنن و الأسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، ط01 ،دار الكتب العلمية ، بيروتن 1410ه/ 1990م، ج01.

124. القرطبي أحمد بن عمر ، المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ،حققه وعلق عليه محي الدين ديبمتو وآخرون ، ط01، إبن كثير ، دمشق و دار العلم الطيب ، بيروت ، 1417ه/1996م

125. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين ت 671هـ/1272م، الجامع لأحكام القرآن، تفسير الطبري، تح: تحقيق أحمد البردوني وابراهيم أطيش، ط 03، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م، ج03، ص406.

126. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود ت 682هـ/1283م، أثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر ، بيروت د-ت، ص240، إبن عبد الحق ، مراصد الإطلاع، ج 03.

127. القلقشندي، صبح الأعشي، في صناعة الإنشا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1985م، ج 05ن ص 327-328،

128. كتاب في المدائح النبوية و سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو مخطوط موجود في: مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، خزانة التراث-

فهرس مخطوطات، السعودية، كتاب إلكتروني قام إصداره مركز الملك فيصل وهو موجود في المكتبة الشاملة، الرقم التسلسلي82851، رقم الحفظ: 07597-11 .

129. الكتبي،محمد بن شاكر (ت764ه)،فوات الوفيات،تحقيق:إحسان عباس،ط1،دار صادر،(بيروت1974م)،ج4.

130. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ت 450هـ/1058م، أدب الدنيا والدين، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ، ص 57.

131. محمد بن أحمد بن علي تقي الدين أبو طيب الملكي الحسني الفاسي ت 832هـ/1428م، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتاب العلمية، بيروت ، ج01،

- محمد بن علي بن طباطبا ، الفخري في الأداب السلطانية و الدول الإسلامية ، تح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي ،حلب ،1997م.
- الحموي، محمد بن علي بن نظيف التاريخ المنصوري تخليص الكشف وبيان في حوادث الزمان ، تح: أبو عبد دودو، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1999، ص 28.

132. مخلوف ، محمد بن محمد ت 1360هـ/1657 ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ، القاهرة - 1921م ، ص218؛ البغدادي ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني ت 1399 هـ/1989م ،

133. المسعودي، علي بن الحسين ت 346هـ/957م ، مرووج الذهب و معادن الجوهر ، تح: قاسم الرفاعي ، ط01، دار القلم ، بيوت، 1989م، ج04.

134. مسلم، مسلم النيسايوري ت 261هـ/874م، المسند الصحيح المقتصر، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن،ج04.

135. المقري،شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(1041ه)،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق:إحسان عباس،ط1،دار صادرن(بيروت-1998م)،ج4.

- المقريري السلوك لمعرفة دول والملوك ، تح: محمد مصطفى زيادة ، لجنة التالي و الترجمة و النشر القاهرة ، 1956م، ج01.

136. المقريزي، كتاب المقفي الكبير ، تح : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلام ، بيروت ، 1987م.

137. المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك،تحقيق:محمد عبد القادر،ط1،دار الكتب العلمية،(بيروت-1998م)،ج2.
138. المنصوري بيبرس، التحفة الملوكية في الدولة التركية، نشره عبد الحميد حميدان، ط01، مصر- القاهرة، 1987م، ص27، إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج07.
139. النووي محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف ت 676هـ/1520م، آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وفضل طلب العلم، ط 01، مكتبة الصحابة، طنطا، 1408هـ/1987م.
140. النويري ،هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، مطبعة البهية ، استابول - 1951م، ج02،
141. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري(ت833ه)،نهاية الإرب في فنون الأدب،ط1،دار الكتب والوثائق القومية،(القاهرة،2003م)،ج23،
142. النويري، شهاب الدين، عبد االوهاب بن محمد بن عبد الدائم القريشي النميمي البكري ت 733 هـ/1332م، نهاية الإرب في فنون الأدب ، ط 01، دار الكتب و الوثائق القومية ، القاهرة ، 2003م.
143. ياقوت الحموي، شهاب الين أبو عبد الله الرومي ت 626 هـ/1228م، معجم البلدان ، دار صادرة ، بيروت ، 1986م، ج 05.

2- قائمة المراجع

أ- المراجع العربية

144. كحالة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي ت 1408هـ/1987م ، معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - 1957م ، ج 11.

145. سهيلة محسن القتلاوي، كفايات التدريس: المفهوم-التدريب-الأدء، ط01، دار الشروق، عمان، 2003م.

146. كنون عبد الله، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة ، تقديم : محمد بن عزوز ، ط01 ، دار ابن حزم ، المغرب ، 2010م ، 01 .

147. ليلي ابراهيم نافع ،الحياة الثقافية في مصر في العصر المملوكي من سنة 648ه/923ه-1250م /1517م

148. ماجد عبد المنعم، نظم الدولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ط02، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، 1979م، ج01،

149. ماجد،عبد المنعم،نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر،ط2،مكتبة الأنجلو المصرية،(مصر-1989م)،ج1

150. محمد بن ابراهيم، المختصر المعلم بأداب المعلم والمتعلم، ط01، مكتب العقيدة الاسلامية، القاهرة، 1436هـ /2015م، ص 54.

151. نايفة قطامي، مهارات التدريس الفعال، ط01، دار الفكر، عمان7، 2003م.

152. النفسي ،ابو البركات عبدالله بن احمد ت710 هـ /1310م، تفسير النفسي، تح، الشيخ مروان محمد الشعار ،دار النفائس ،بيروت 2005م،ج01 ،ص 131.

153. مهدي محمود سالم، الأهداف سلوكية تحديدها مصادرها صياغتها تطبيقاتها، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418 هـ، ص 14.

154.

155. - النشار السيد السيد، تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي ، ط01، دار المصرية اللبنانية، 1993م

156. - أنطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية ، ط02، دار الحداثة، بيروت، 1982م،

157. – د. إيناس حسن البهجي ، دولة المماليك البداية و النهاية ، ط01، دار التعليم الجامعي ، إسكندرية ، 2015م،

158. – سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة – مصر، 1959م.

159. – سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر و الشام ، ط02، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1976م.

160. – سيمينوفا، صلاح الدين و المماليك في مصر، تر: حسين، بيومي، المجلس الأعلى لثقافة ، قطر– الدوحة ، 1998م.

161. – طقوش محمد سهيل ،تاريخ المماليك في مصر والشام ،ط01،دار النفائس ، بيروت ، 1997.

162. – مني محمد بدر محمد بهجة ، أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية و المملوكية بمصر ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، 2002م

163. أبو زهرة محمد، مالك حياته وعصره أراءه الفقهة، القاهرة، دار الفكر العربي، د–ت

164. أحمد الشتاوي، دائرة المعارف الإسلامية ، مج 10، مصر، د–ت.

165. د.عبد اللطيف العبد، الأخلاق في الإسلام، ط 02، مكتبة دار العلوم، القاهرة، 1405هـ/1985م.

166. د.فوزية عثمان عساف الغامدي، الآداب التربوية المستنبطة من كتاب المدخل لإبن الحاج العبدري، دراسات عربية في التربية وعلم النفس، العدد 99، 2018م.

167. سيد إسماعيل كاشف و آخرون ، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1993 م ، ص 339 – 45 ، العمر بن فضل الله ، ج01 .

168. سعيد عبد الفتاحعاشور ،المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك،ط1،دار النهضة العربية،(القاهرة–1976م)،ص178.

169.

170. عبد الأمير ز. شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن جماعة، ط 01، دار الكتاب العالمي، بيروت، 1990م.

171. عبد الحميد الهاشمي، الفروق الفردية دراسة تحليلية تطبيقية في مجال التربية والاجتماع، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405ه.
172. عبد العزيز سالم ، سحر السيد عبد العزيز سالم ،دراسة في تاريخ الأيوبيين و المماليك ، مؤسسة الشباب الجامعية الإسكندرية 1997، ص 176.
173. عبد الكريم بكار، فصول من التفكير الموضوعي، ط 01، دار القلم، دمشق، 1413ه.
174. عزمي عبد أبو عليان،مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبين في عهد المماليك،دار النفائس،عمان،1995.
175. الفاسي ، عبد الكريم بن المجذوب ، موسوعة أعلام المغرب ، تح : محمد حجي ، ط01 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – 1996م، ج02.
176. فتيحة حسن سليمان، المذهب التربوي عند الغزالي، ط02، مكتبة النهضة، القاهرة، 1964م.
177. فرغلي إبراهيم، الحركة التاريخية في مصر و سوريا خلال القرن السابع الهجري ، ط01، العربي للنشر و التوزيع ، القاهرة، 2000م، ص55.
178. محمد بن يوسف الكندي ، ولاة مصر ، دار صادر بيروت ، د– ت.
محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر و االشام و إقليم الجزيرة، ط01 دار النفائس، بيروت – لبنان، 1999 ، ص229 .
179. محمود رزق إسماعيل، الأدب العربي و تاريخه في عصر المماليك و العثمانيين و العصر الحديث ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر 1377هـ/1957م.

ب المراجع الاجنبية

180. William miur.the caliphate its rise.descline.and fall.the religiuos tract society.1892..
181. Larrivaz. Le sai ntspe regrinatious dechi stele ,(j.v) voyage en Egypte (1842-1483)
182. tnansby , Bauwens preaux , Bruxelles, 1975, p36, woff.Howmany miles Baby lan ,1

3-الدراسات الاكاديمية

1. فوزي رمضاني،إسهامات المالكية في الحياة العلمية في مصر والشام خلال العصر المملوكي(648ه-923ه/1250-1517م)،مذكرة دكتوراه في العلوم في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر02،كلية العلوم الإنسانية،قسم التاريخ،الجزائر،2017/2016م
2. كفاح يحي صالح ، الفكر التربوي عند الإيمام السيوطي ، مجلة البحوث التربوية و النفسية ، العدد 43، الجامعة العرقية ، كلية التربية ، قسم العلوم التربوية و النفسية ، عراق ، 2014م،
3. بسام عمر دياب غانم، الفكر التربوي عند الإمام شمس الدين الذهبي، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، قسم أصول التربية، الأردن، 2003، ص، 94-95.
4. عبد اللطيف بن عبد العزيز الرباح، آداب المعلم عند إبن الالحاج العبدري في كتاب المدخل، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 07، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التربية، 1439 هـ2008 م.

Abstract :

The study of the learned and the learner's behavior in a specific era shows the prevalent educational philosophy, and the educational era that they lived in .The Islamic history had known lot of scientist who spread their knowledge to dosens of learners who were graduated on their hands , and their views become a stand light to the next generation.

This study aims to know the behavior that both the learned and the learner must have. I was attracted to this study throught the book of " Al Madkhel " for Ibn El Hatem (737-1336) . This book is a treasure which has a great scientific value.The learned and the learner behavior still in need of a deep academic studies which was a pleasure to me to participate in this studies which led me to choose " ***The educational thought in Egypt in El Mumlouki Ibn Al Hadj Al Abdari's era*** *" as a title to my dissertation . This dissertation included an introductory chapter that delt with an overview on the educational thought in Egypt in the Mumluk era (1250 – 1517) and three main chapters .The first chapter was about an information on Ibn Al Hadj and his scientific status , while the second chapter was about the learner's behavior himself and the way he treats his pupils, and how he performs his lesson. The last chapter delt with the behavior of the learner toward his learned and while he presenting his lesson .*

In this dissertation I used a lot of resources which have a scientific dimensions and among this books I mention : the general history books, translation and geography books, educational and ethical books and the modern resources books . Each one of this books was a big help to me .At the end of this dissertation I realized that the book of " Al Madkhel " has an interesting and important information about the learned and the learner's behavior .After studying Ibn Al hadj views there were some results:

** Ibn Al Hadj affirmation on the sublimity of education because it's the prophe s' message.*
**The way Ibn Al hadj used in his book refers to the Quran and our prophet's behavior " peace be upon him" where the book achieved the complet version of the islamic education.*
** The importance of the main behavior that both the learned and the learner must have to achieve a successful educational process.*
** The educational process focuses on the ethical side.*
** The behaviors that Ibn Al Hadj mentioned on his book can be used as a rules in the modern educational system and it's also contains programs that help ro prepare the learned and the learner.*

الفهرس:

الموضوع	الصفحة
المقدمة	1-13
الفصل التمهيدي لمحة عامة عن التربية والتعليم في مصر خلال العهد الملوكي (648هـ-923هـ/1250م-1519م)	
المبحث الأول: :التعريف بالمماليك واصلهم	15
المبحث الثاني : احوال التربية والتعليم في مصر خلال العهد المملوكي	33
الفصل الأول: حياة ابن الحاج ومكانته العلمية	
المبحث الثاني: مكانته العلمية	55
المبحث الأول: حياة ابن الحاج	60
المبحث الثالث: عصره	74
الفصل الثاني: الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها العالم في فكر إبن الحاج	
المبحث الأول: آداب العالم في نفسه	84
المبحث الثاوي: آداب العالم في درسه	99
المبحث الثالث :آداب العالم مع طلابه	106
الفصل الثالث: الفصل الثالث الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم في فكر إبن الحاج	
المبحث الأول: آداب المتعلم في نفسه	118
المبحث الثاوي: آداب المتعلم في درسه	123
المبحث الثالث :آداب المتعلم مع شيخه	128
الخاتمة	133
الملاحق	137
قائمة المصادر والمراجع	145
الملخص	160
الفهرس	161